عبيدالله بن الحبحاب الموصلي
ودوره الإداري والسياسي والعسكري
والعمراني في العصر الأموي

إعداد

د/ عبدالهادي محمد حمدان سيد

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بأسيوط

abdelhadysayed.47@azhar.edu.eg

ملخص

عبيدالله بن الحبحاب الموصلي

ودوره الإداري والسياسي والعسكري والعمراني في العصر الأموي

يعالج هذا البحث جهود شخصية طموحة من الشخصيات الإسلامية التي ظهرت في العصر الأموي، والشخصية المعنية هي شخصية عبيدالله بن الحبحاب السلولي القيسيَّ بالولاء ودوره الإداري والسياسي، فهو يعد أحد الشخصيات المهمة التي كان لها دور بارز وملحوظ في النواحي الإدارية والاقتصادية والسياسية في العصر الأموي، وخاصة في فترة خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥ . ١٢٥هـ / ٧٢٣ . ٧٤٢ م) فرغم كونه من الموالي إلا أنه استطاع بفضل نشاطه وذكائه وطموحه وكفاءته تولى العديد من المناصب المرموقة في الدولة الأموية، وقد بدأ حياته العامة كاتبًا صغيرًا في ديوان الخراج، ثم أصبح أحد كتابه البارزين، ونظرًا لما أظهره من مقدرة ونشاط خلال عمله الديواني حظي بمكانة كبيرة لدى الخليفة هشام بن عبد الملك، فأسند إليه رئاسة ديوان الخراج والجند في مقر الخلافة بدمشق، ثم عهد إليه بولاية خراج مصر أكبر ولايات الخلافة وأغناها، فأظهر كفاءة ومقدرة إدارية، ونجح في رفع عائداتها المالية من الجزية والخراج فبلغت أربعة ملايين دينار، وكانت قبل ذلك دون الثلاثة ملايين دينار، وساعد هذا النجاح الذي حققه على تعميق ثقة الخليفة به، فرفع مكانته وولاه على بلاد المغرب والأندلس (١١٦ . ١٢٣هـ / ٧٣٤ . ٧٤١م)، فتولاها بعزيمة وهمة وضبط أمورها، واهتم بعمران مدينة تونس، ووسع دار صناعة السفن بها، وجدد جامع الزيتونة، وقام بنشاط بحري كبير، فأرسل العديد من الحملات البحرية لغزو جزر البحر المتوسط الغربية، ولكن رغم هذه الجهود التي قام بها، وهذا النشاط الدائب الذي طبع فترة ولايته، فإن صفو الحياة لا يخلو من كدر، فقد شهدت السنة الأخيرة منها ثورة كبيرة قام بها الخوارج الصفرية من البربر بزعامة ميسرة المدغري، زلزلت أركان السلطة الأموية في بلاد المغرب، ولطخت تاريخه وجعلته عرضة للقيل والقال، وكان إخفاقه في القضاء عليها سببًا في عزله، فعاد إلى المشرق حيث لفه النسيان، وانتهت حياته بقتله على يد العباسيين في مدينة واسط سنة ١٣٢هـ .

الكلمات المفتاحية:

عبيدالله بن الحبحاب الموصلي- العصر الأموي- هشام بن عبدالملك.

Abstract

Obaidullah bin Habhab Musli
And its administrative, political, military and urban role in the Umayyad era

This research deals with the efforts of an ambitious figure of the Islamic personalities that emerged in the Umayyad era, and the figure in question is Obaidullah ibn Al-habhab Al-saloli Al-qaisi with loyalty and his administrative and political role in the Umayyad caliphat .who played a prominent and significant role in the administrative,economic and political aspects of the Umayyad era , especially in the caliphate of Hisham bin Abdulmalik (105-125 AH / 723-742 AD) . Despite being one of Al-mawali , thanks to his energy , intelligence , ambition , and competence , he was able to hold many prestigious positions in the Umayyad caliphate . Where he began his public life as a low-skilled writer in the Diwan of Al-kharj and then he become one of it prominent writers . Because of the ability and energy he showed during his diwani work , he enjoyed a great position with the caliph Hisham bin Abdulmalik and was assigned to head the Diwan of Al-kharj and Al-jond at the headquarters of the caliphate in Damascus . Then he was entrusted with taking over Egypt`s Kharj , the largest and richest state of the caliphate . During his tenure , he proved to be an administrative efficiency and succeeded in raising its financial revenues which are Al- jizia and Al-kharj , to four million dinars , which was previously less than three million dinars . the caliph`s confidence in him increased so that he gave him a promotion and he became the ruler of Morrocco and Andalusia (116 - 123 AH / 734 - 741 AD) . During his tenure he showed administrative competence and political ability , so he controlled its affairs , took care of the city of tunisia , expanded the Shipyard and renewed the Zaytona mosque and carried out a great naval activity , sending many naval campaigns to invade the western Mediterranean islands . But despite these efforts he made and this great activity that was in his tenure the serenity of life in not without disdain , as the last year, it of his reign witnessed a major revolution carried out by Al-khwarj Al- safariaa of thr Berbers led by Missara Al-madgari , which slit the pillars of Umayyad power in Morrocco and tarnished his history and made him vulnerable to gossip . His failure to eliminate it caused his isolation and he returned to the Orient where he was forgotten and ended his life by killing him by the Abbasids in the city of Wasit in 132ah .

key words:

Obaidullah bin Habhab Musli - Umayyad era - Hisham bin Abdul Malik.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يستحق الحمد والثناء، والصلاة والسلام على من أنقذ الله به البشرية من الجهل والظلماء، وعلى آله وصحبه ومن سار على هداه وسلم تسليمًا كثيرًا . وبعد،،

يعالج هذا البحث جهود شخصية طموحة من الشخصيات الإسلامية التي ظهرت في العصر الأموي، والشخصية المعنية هي شخصية عبيدالله بن الحبحاب الموصلي السلولي القيسي بالولاء، ودوره الإداري والسياسي والعسكري والعمراني في الدولة الأموية، وهو يعد أحد الشخصيات المهمة التي كان لها دور بارز في النواحي الإدارية والاقتصادية والسياسية في العصر الأموي، وخاصة في فترة خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥ . ١٢٥هـ / ٧٢٣ . ٧٤٢ م)، فرغم كونه من الموالي إلا أنه استطاع بفضل نشاطه وذكائه وطموحه تولى العديد من المناصب المرموقة في الدولة الأموية، حيث بدأ حياته كاتبًا صغيرًا في ديوان الخراج، ثم أصبح أحد كتَّابه البارزين، ونظرًا لما أظهره من كفاءة خلال عمله الديواني لمع نجمه واشتهر ذكره، وحظي بمكانة كبيرة لدى الخليفة هشام بن عبد الملك، فأسند إليه رئاسة ديوان الخراج والجند في مقر الخلافة بدمشق، ثم عهد إليه بولاية خراج مصر أكبر ولايات الخلافة وأغناها، فأثبت كفاءة ومقدرة إدارية فائقة، ونجح بفضل إصلاحاته الاقتصادية في رفع عائداتها المالية المتحصلة من الجزية والخراج، فبلغت جباية مصر أثناء ولايته أربعة ملايين دينار، وكانت قبل ذلك دون الثلاثة ملايين دينار[١]،

(١) ابن زولاق : فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق / محمد علي عمر، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٨٩، ٩٠، المقريزي : المواعظ والاعتبار = =بذكر الخطط والآثار، تحقيق / محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨ م ١ / ٢٨٤ . سيشار إليه فيما بعد بالخطط .

كما كان له دور واضح في توطين القبائل القيسية في مدينة بلبيس قاعدة الحوف الشرقي[١] وتوجيههم إلى حياة الاستقرار واحتراف الزراعة، وهذا النجاح الذي حققه كان سببًا في بقائه في عمله لفترة طويلة، فظل عاملا على خراج مصر أكثر من إحدى عشرة سنة (١٠٥- ١١٦هـ/٧٢٣- ٧٣٤ م) بينما تعاقب على حكمها خمسة من الولاة [٢]، وقد كان يتمتع أثناء ذلك بنفوذ كبير، وحاز سلطة فاقت سلطة الولاة الذين عاصرهم، وعظم شأنه وعلت مكانته وامتد نفوذه إلى عزل الولاة وتوليتهم برضى الخليفة، ولم يكن أمره نافذًا على الولاة فقط، بل كان نافذًا أيضًا في اختيار قضاتها، ومن ثم فإن ابن الحبحاب لم يكن مجرد وال على الخراج، وإنما كان بمثابة نائب للخليفة في مصر، يشرف على كافة أمورها، وبيده الحل والعقد، واختيار رجال الحكم والقضاء، ونظرا لكل هذه السلطات التي تمتع بها أثناء ولايته كان يخاطب في المكاتبات الرسمية بلقب (أمير)، وينعت عماله بـ (عامل الأمير)[٣].

---

(١) الحوف الشرقي: يوجد فى مصر حوفان : شرقي وغربي، وهما متصلان، أما الشرقي: فيشمل القرى الواقعة على الجانب الشرقي من فرع دمياط وقصبته مدينة بلبيس . والغربي: يشمل القرى الواقعة على جانبي فرع رشيد بمحافظات الغربية والبحيرة وكفر الشيخ . ياقوت : معجم البلدان دار صادر، بيروت, د . ط . ت، ج ٢ ص٣٢٢، محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م، ق١ البلاد المندرسة ص ٥٠، ٥١ .

(٢) هؤلاء الولاة الخمسة هم : محمد بن عبدالملك (١٠٥ هـ) الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم (١٠٥ . ١٠٨ هـ) حفص بن الوليد (١٠٨ هـ) عبدالملك بن رفاعة (١٠٨ هـ) الوليد بن رفاعة (١٠٩ . ١١٧هـ). انظر: الكندي: الولاة وكتاب القضاة، تحقيق/ رفن كست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م، ص ٧٢. ٧٨.

(٣) أدولف جروهمان : أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ج ٣، ترجمة / حسن إبراهيم حسن،الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٥ م، ج٣ ص ١١٦، ١١٩، ١٣٥ .

وقد نال ابن الحبحاب هذه السلطات الواسعة، بسبب ما تمتع به من جد ونشاط، وما أظهره من إخلاص للدولة الأموية، حتى أصبح موضع ثقة الخليفة هشام فرفع مكانته وجعله واليًا على بلاد المغرب والأندلس، فظل على ولايتها سبع سنوات (١١٦ . ١٢٣ هـ /٧٣٤ . ٧٤١ م) أظهر خلالها كفاءة إدارية ومقدرة سياسة، فضبط أمورها، واهتم بعمران مدينة تونس، فوسع دار صناعتها، وجدد جامع الزيتونة، وقام بنشاط بحري كبير، فأرسل العديد من الحملات البحرية لغزو جزر البحر المتوسط الغربية، ولكن رغم هذه الجهود التي قام بها، وهذا النشاط الدائب الذي طبع فترة ولايته، فإن صفو الحياة لا يخلو من كدر، فقد شهدت السنة الأخيرة من ولايته ثورة كبيرة قام بها الخوارج الصفرية من البربر بزعامة ميسرة المدغري في سنة ١٢٢هـ /٧٣٩ م، زلزلت أركان السلطة الأموية في بلاد المغرب، ولطخت تاريخه وجعلته عرضة للقيل والقال، وكان إخفاقه في القضاء عليها سببًا في عزله، فعاد إلى المشرق حيث لفه النسيان، وانتهت حياته بقتله على يد قوات العباسيين في مدينة واسط سنة ١٣٢هـ .

ورغم هذا الدور الإداري والسياسي والعسكري والعمراني الذي قام به ابن الحبحاب في مصر وفي بلاد المغرب والأندلس، فإن الدراسات الحديثة لم تلتفت إليه، ولم تعطه ما يستحق من عناية واهتمام، فلم نعثر فيما رجعنا إليه . حسب علمنا . عن شيء كتب عنه سوى مقال على الشبكة العنكبوتية، كتبه المؤرخ العراقي (سعيد الديوه جي) تحت عنوان :(عبيدالله بن الحبحاب الموصلي مؤسس جامع الزيتونة) في خمس ورقات من القطع الصغير، وقد دفعني هذا إلى الكتابة عن هذه الشخصية الطموحة وإلقاء الضوء على دورها في النواحي الإدارية والسياسية والعسكرية والعمرانية، ومناقشة ما أثير من شبهات حول الإجراءات والأعمال التي قام بها سواء أثناء فترة ولايته للخراج في مصر أو أثناء فترة ولايته للمغرب والأندلس، من أجل تقديم صورة

موضوعية أقرب للواقع التاريخي، وذلك من خلال ما تمدنا به المصادر الأصلية الموثوقة من معلومات تاريخية بعيدًا عن التحيز والأفكار المسبقة .

وقد التزمت في كتابة هذا البحث منهجًا تحليليًا لا يقتصر على سرد الأحداث والوقائع التاريخية، بل يحاول قدر الإمكان مناقشتها وتحليل أسبابها، واستخلاص نتائجها وآثارها في ضوء المعلومات المتوافرة، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في أربعة مباحث مسبوقة بمقدمة، ومتبوعة بخاتمة، ومذيلة بثبت للمصادر والمراجع، وفهرست لموضوعات البحث .

المقدمة : بينت فيها أهمية موضوع البحث، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سرت عليه في معالجته، وخطة البحث .

وعني المبحث الأول بالتعريف بابن الحبحاب، وفيه تحدثت عن نسبه ونشأته، واتصاله بالخلفاء الأمويين، وتدرجه في المناصب الإدارية المختلفة، وثقافته، وأسرته .

أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان : (ابن الحبحاب واليًا على خراج مصر) وقد خصصته للحديث عن ولايته للخراج بمصر، وفيه تحدثت عن جهوده وإصلاحاته الاقتصادية أثناء ولايته، وثورة الأقباط وأسبابها، وناقشت ما أثير حوله من شبهات تمثلت في اتهامه باضطهاد الأقباط ومضاعفة الخراج عليهم، وتشدده في جبايته، كما تناولت ما قام به أثناء ولايته من استقدام القبائل القيسية إلى مصر، والأسباب التي دفعته لاستقدامهم، وتحدثت عن حملته العسكرية على بلاد البُجَة، ثم ختمته بالحديث عن علاقته بولاة مصر .

أما المبحث الثالث فقد جعلته بعنوان : (ابن الحبحاب واليًا على المغرب والأندلس) وفيه تحدثت عند بداية ولايته على المغرب والأندلس، وأسباب اختياره، وسياسته الداخلية التي سار عليها أثناء ولايته، كما تحدثت عن تنظيماته الإدارية، ونشاطه العسكري في داخل بلاد المغرب وخارجها، ثم ختمته بالحديث عن جهوده العمرانية .

ثم جاء المبحث الرابع بعنوان (ابن الحبحاب وثورة الخوارج) وقد خصصته للحديث عن هذه الثورة، فذكرت أسبابها، ومقدماتها، وناقشت ما جاء في رواية الطبري عن قصة ذهاب وفد البربر إلى دمشق حاضرة الخلافة، وما تضمنته شكواهم من أكاذيب ملفقة، ثم تحدثت عن أحداث الثورة وتداعياتها في بلاد المغرب والأندلس وفي حاضرة الخلافة دمشق، ثم ختمت هذا المبحث بالحديث عن نهاية ابن الحبحاب .

الخاتمة : وقد تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع العربية والمعربة أثبتها في ثبت المصادر والمراجع في نهاية البحث .

وبعد . فقد بذلت في هذا البحث جهدًا أخلصت فيه النية، فإن جاء وافيًا بالمطلوب محققًا للغاية، فبعناية الله وفضله، وإن جانب ذلك فحسبي أنني اجتهدت وبذلت ما وسعني من جهد، وأخلصت النية والقصد، والكمال لله وحده، والله أسأل أن يلهمنا الحق والصدق والصواب، وأن يهدينا سواء السبيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د/ عبدالهادي محمد حمدان سيد

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط

المبحث الأول

تعريف بابن الحبحاب

ـ اسمه ونسبه:

هو عبيدالله بن الحبحاب بن الحارث السلولي القيسيَّ بالولاء الموصلي، فهو ليس بعربي صريح وإنما كان مولى لبني سلول [١]، وليس لدينا من الروايات ما يوقفنا على تاريخ أبيه وأسرته بالتفصيل، وما كان لذلك من أثر في حياته، وكل ما ذكرته المصادر [٢] أن والده الحبحاب كان مولى في بني سلول فأعتقه أحد رجالها ويدعى الحجاج السلولي والد عقبة بن الحجاج والي الأندلس [٣] .

ومما يحمد لابن الحبحاب ويدل على نبله ووفائه وسمو أخلاقه، أنه على الرغم من كونه غير عربي إلا أنه كان معتزا بانتسابه إلى العرب . حتى بعد وصوله إلى أعلى المناصب . فقد كان معتزًا بنسبه إلى بني سلول معترفًا بفضلهم عليه، وكان يعلن ذلك ولا يستحي منه، وكان يجل مواليه ويقدرهم، وقد بدا هذا واضحًا في اهتمامه بالقبائل القيسية واستقدامهم إلى مصر،

---

(١) بنو سلول : هم أبناء مُرَّة بن سلول (وهي أمهم) بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار، ينسبون إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن بكر بن وائل . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق / عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢ م، ج ١ ص ٢٧١ .

(٢) مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق / إبراهيم الإبياري، سلسلة المكتبة الأندلسية، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ص ٣٢، ٣٣،ابن عذارى : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق / بشار عواد معروف، محمد بشارعواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٤٣٤ / ٢٠١٣ م، ج ١ ص ٨٣، ج٢ ص ٣٧.

(٣) سيأتي الحديث عنه فيما بعد .

وتوطينهم في بلبيس أثناء ولايته للخراج في مصر[١]، كما ظهر فيما كان يبديه من احترام وتقدير لأسرة سيده الحجاج السلولي الذي أعتق أباه، فلم تدفعه أبهة مجده وسطوة سلطانه لإنكار فضله عليه، ومما يروى عنه في هذا الشأن أنه عندما ولي بلاد المغرب والأندلس في سنة ١١٦هـ /٧٢٤ م قدم عليه مولاه عقبة بن الحجاج السلولي زائرًا فقام إليه وأعظمه وأجلسه على سريره، وقرَّبه حتى عظمت منزلته في الناس، وأبدى له من الاحترام ما أسخط بنيه وجرح كبرياءهم، فلاموه على ذلك ونصحوه أن ينصرف عنه حتى لا تناله وتنالهم ألسنة السوء، ولكنه لم يستمع إليهم، ولم يزده ذلك إلا تعظيمًا وتكريمًا له، ولم يكتف بهذا بل جمع الناس وقام فيهم خطيبًا فقال : " أيّها الناس إنّ بنيّ هؤلاء غرّتهم غرّة الشيطان لعزّة السلطان، فأرادوا أمرًا أخرج به عن الحقّ، وأنكروا ما رأوا من برّي لهذا الرجل، وإنَّما أخبركم أنّه مولاي، وأنّ أباه أعتق أبي، وأنا أكره كتمان أمرٍ الله سبحانه شهيد عليّ به " ثم خيَّر مولاه عقبة في ولاية ما شاء من سلطانه، فاختار الأندلس لأنها أرض جهاد وهو يحب الجهاد [٢] .

مولده ونشأته :

ولد ابن الحبحاب بالموصل، ولم تذكر المصادر شيئًا عن تاريخ مولده وفترة طفولته وصباه، ولا عن شيوخه الذين تتلمذ عليهم، ولا عن كيفية انتقاله إلى دمشق واتصاله بخلفاء بني أمية، شأنه في هذا شأن الكثيرين من أمثاله، ويمكن أن نعزو هذا إلى أن المؤرخين لم يهتموا بالحديث عنه وتسجيل أخباره إلا بعد أن التحق بديوان الخراج والجند للعمل به وبدأ نجمه في الصعود، وأول ما يطالعنا من أخباره ما ذكره عن نفسه من أنه بدأ حياته العملية كاتبًا صغيراً في ديوان الخراج، ثم صار كاتبًا كبيرا من كتَّاب هذا الديوان، ونظرًا لما أظهره من مقدرة ومهارة في صنعة الخراج لمع نجمه ونال الحظوة لدى الخليفة هشام

(١) سيأتي الحديث عن ذلك في المبحث الأول .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨٢، ٨٣، ج٢ ص ٣٧ .

بن عبد الملك (١٠٥ . ١٢٥هـ /٧٢٣ . ٧٤٢م) فولاه على ديوان الخراج والجند في مقر الخلافة بدمشق [١]، ثم عهد إليه بولاية خراج مصر أكبر ولايات الخلافة وأغناها، وما ذلك إلا لثقته في كفاءته وقدرته على إدارة أمورها المالية، فأثبت أثناء توليه المنصب كفاءة إدارية، حيث نجح في رفع إيراداتها المالية من الجزية والخراج، فبلغت جباية مصر أثناء ولايته أربعة ملايين دينار، وكانت قبل ذلك دون الثلاثة ملايين دينار [٢]، وساعد هذا النجاح الذي حققه على تعميق ثقة الخليفة به، فرفع مكانته وجعله واليًا على بلاد المغرب والأندلس، وإلى هذا يشير ابن الحبحاب متحدثًا عن نفسه وعن تدرجه في المناصب الإدارية والسياسية، وذلك بعد أن أصبح واليا على بلاد المغرب والأندلس بقوله : " إنما كنت كويتبًا، ثم صرت كاتبًا، ثم صرت أميرًا، ثم أنا اليوم أمير كبير والحمد لله " [٣] . ولعل في وصول ابن الحبحاب وهو مولى إلى أعلى المناصب ما يدل على عدم صحة الدعاوى التي كثيرًا ما تتردد في كتابات المؤرخين المحدثين وتتهم الأمويين ظلمًا بأنهم تعصبوا للعرب ونحُّو العناصر غير العربية . رغم إسلامهم . عن مناصب الدولة الهامة جانبًا وظلموهم، فقد كان كبار كتابها وحجابها، وموظفي الإدارة فيها في

(١) البلاذري : جمل من أنساب الأشراف، تحقيق / سهيل زكار، رياض زركلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت . لبنان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م، ج ٨ بنو عبد شمس (٤) ص ٣٦٩، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق / أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع،الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٣٦٢، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق/ محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت . لبنان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ج ٨ ص٨٦، ج ٣٧ ص ٤١٥.

(٢) ابن زولاق : فضائل مصر ص ٨٩، ٩٠، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٨٤ .

(٣) ابن الأبار : الحلة السيراء، تحقيق / حسين مؤنس، الطبعة الثانية، ذخائر العرب ٥٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م، ج ٢ ص ٣٣٧ .

غالبيتهم من الموالي، وقد وصل بعضهم إلى مناصب عليا عز على الكثير من العرب الوصول إليها .

ـ ثقافته:

لا تسعفنا المصادر بشيء ذي بال عن ثقافة ابن الحبحاب ومدى إلمامه ببعض العلوم السائدة في عصره، ولا عن شيوخه الذين تتلمذ عليهم، ولكن رغم هذا يبدو أنه تلقى تعليمًا جيدًا درس خلاله علوم اللغة والأدب، والفقه، والحساب، واطلع على أيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، وحصَّل قدرًا لا بأس به من الثقافة العامة أهله للالتحاق بديوان الخراج للعمل به كاتبًا، حيث كان كاتب الخراج يحتاج إلى عدة علوم في كتابته أهمها : اللغة وعلومها المختلفة، لتصحيح الألفاظ، وإصابة المعاني، والفقه لمعرفة الأحكام المتعلقة بالخراج، وكيفية تطبيقها، والمعرفة التامة بالعلميات الحسابية بأنواعها من تقرير ضريبة، أو تقدير مرتبات، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة، وغير ذلك [١].

وقد كان ابن الحبحاب على درايةٍ عاليةٍ بصنعة الكتابة، بارعًا في الفصاحة والخطابة، حافظًا لأيام العرب وأشعارها وأخبارها ووقائعها، ذا بلاغة في لسانه وقلمه، وكان يقول الشعر [٢]، قال ابن الأبار [٣]: "وكنت سمعت له أبياتًا لم أحفظ منها وقت تأليفنا هذا الكتاب شيئًا فنثبته " . ومما يدل على

(١) ابن قتيبة : أدب الكاتب، تحقيق / محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د. ط . ت، ص ١٢ . ١٤، أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق/ علي محمد البجاوي، محمد أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م، ص ١٥٤.

(٢) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق / محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ص٦٦، ابن عذارى: البيان المغرب ج١ ص ٨١، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ج٢٤ ص ٣١ .

(٣) الحلة السيراء ج٢ ص ٣٣٧ .

تمكنه من صنعة الكتابة ومقدرته الإدارية، ونبوغه في مجال الفصاحة والبلاغة، وضلوعه في العلوم الشرعية، ما رواه الرقيق القيرواني [١] عن عبدالله بن أبي حسان اليحصبيّ[٢] عَن أَبِيه قال : " رأيت عبيدالله بن الحبحاب يومًا ينظر في دفتر العطاء، ويملي رسالة، ويأمر بحاجات في ناحية أُخرى، ويحكم في خلال ذلك بين رجلين متنازعين " .

أسرته :

كان لعبيدالله بن الحبحاب عدد من الأبناء شارك بعضهم في الحياة السياسية والإدارية، وقد ذكرت المصادر منهم ابنيه القاسم وإسماعيل .

- القاسم بن عبيدالله :

نشأ وترعرع في كنف أبيه وحظي برعايته، وأخذ عنه معارفه وخبراته في صناعة الخراج، ومن غير المستبعد أن يكون قد عمل في أول أمره كاتبًا في هذا الديوان، وتمرَّس في هذا العمل الديواني علي يد والده [٣]، ثم انتقل بصحبته من دمشق إلى مصر عندما ولي أمر خراجها [٤]، وأصبح ساعده

(١) تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٦ .

(٢) عبدالله بن أبي حسان اليحصبيّ : فقيه قيرواني شهير، من أشراف إفريقية، أخذ من كبار العلماء من أمثال : عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، ومالك بن أنس، وكان صاحب فقه وأدب وعلم بالتاريخ وأنساب العرب، أخذ عنه الناس تاريخ إفريقية وحروبها، وروى عنه سحنون وغيره من العلماء، واعتمد عليه أبو العرب في طبقاته، توفي بالقيروان سنة ٢٢٧هـ .أبو العرب : طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط .ت، ص ٧٥، ٧٦.

(٣) كان تدريب الكتَّاب لأبنائهم على إتقان فنون العمل الديواني، واعتمادهم عليهم في عملهم أسلوبًا متبعًا في هذا العصر . انظر : الجهشياري : الوزراء والكتاب، تحقيق / مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري ، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م، ص ٦٤، ٦٥ .

(٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ٤٩ ص ١١٦ .

الأيمن في القيام بمهام عمله، حيث كان يستعين به في كثير من أعمال الخراج [١]، ونظرًا لطول ملازمته لوالده أصبح على دراية واسعة بصناعة الخراج، ولعل هذا ما دفع والده إلى استخلافه على خراج مصر وتدبير أمورها المالية عندما أسند إليه الخليفة هشام بن عبدالملك ولاية المغرب والأندلس في سنة ١١٦هـ /٧٢٤ م، ثم أقرَّه الخليفة بعد ذلك [٢]، ولم يكن إقرار الخليفة له في هذا المنصب الكبير اعترافًا بفضل أبيه وما حققه من نجاح أثناء ولايته للخراج في مصر، وإنما كان بسبب ما كان يتمتع به من كفاءة إدارية اكتسبها بفضل تمرُّسه بصنعة الخراج وإتقانه إياها على أكمل وجه، ولو لم يكن مؤهلا لتولي هذا المنصب الخطير ما أقره .

ظل القاسم يلي أمر الخراج في مصر لأكثر من سبع سنوات (١١٦ . ١٢٤ هـ / ٧٣٤ . ٧٤١ م)، وقد قام أثناء ولايته ببعض الأعمال العمرانية حيث اختط قرية في جنوب الجيزة بين أبي النمرس وجزيرة الذهب تعرف بـ (ترسا) [٣]، كما بنى فوق دار الرمل [٤] طابقًا علويًا [٥] . ثم عزله هشام بن

(١) ساويرس بن المقفع: سير الآباء البطاركة، نشره/ عبدالعزيز جمال الدين ضمن كتابه تاريخ مصر من بداية القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٦م، ج٢ ص ١٧٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٤٩ ص١١٦، ابن الأبار: الحلة السيراء ج٢ ص ٣٣٦.

(٣) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، القسم الأول ص ١٣١، المقريزي: الخطط ج١ ص ٥٨١.

(٤) دار الرمل: تنسب إلى رملة بنت معاوية بن أبي سفيان . ﷺ . وقد كانت لوالي مصر مسلمة بن مخلد، وعقبة بن عامر الجهني، وأبي رافع مولى النبي . ﷺ . فلما ولي معاوية الخلافة أخذها وعوضهم عنها، وقيل : ابتناها معاوية لابنه يزيد، وأقطعه قرية من قرى الفيوم، فأعظم الناس ذلك وتكلموا فيه، فرد القرية إلى الخراج، وجعل دار الرمل للمسلمين، فكان الولاة ينزلون بها . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، تحقيق /عبد المنعم عامر، الذخائر رقم ٤٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د. ت، ص ١٤٣ . ١٤٥، ابن دقماق : الانتصار ق١ ص٥ .

(٥) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ص ١٤٥، ابن دقماق : المصدر السابق نفسه .

عبدالملك في سنة ١٢٤هـ / ٧٤١ م، وجمع لوالي مصر حفص بن الوليد [١] بين صلاتها وخراجها [٢]، ولم يكن عزله لعجزه وتقصيره، وقد أغفلت المصادر الإشارة إلى سبب عزله، ومع هذا فمن المرجح أن عزله يرجع إلى غضب الخليفة هشام على أبيه عبيدالله بن الحبحاب بسبب ما حدث في المغرب من ثورة البربر، وفشله في إخمادها مما كان سببًا في عزله عن ولاية المغرب والأندلس، وعزل ابنه القاسم عن ولاية الخراج في مصر، ومن الجائز أن يكون لحفص بن الوليد يد في عزله، فقد كان واجدًا على ابن الحبحاب بسبب موقفه السابق منه أثناء ولايته الأولى على مصر في سنة ١٠٨هـ/ ٧٢٦ م، فقد حل سوء التفاهم بين الرجلين فكتب ابن الحبحاب إلى هشام يشتكي حفصًا، فعزله هشام ولم يكن قد مضى على ولايته أكثر من أسبوعين تلبية لرغبة ابن الحبحاب [٣].

وأيًا كان الأمر فيما يتعلق بأسباب عزل القاسم بن عبيدالله عن ولاية الخراج بمصر، فقد لفه النسيان وانقطعت أخباره بعد عزله، فلم نعد نسمع عنه شيئًا بعد ذلك، ولا ندري هل ولي أعمالا أخرى أم لا؟ ولا متى توفي؟ وأين؟.

---

(١) هو : حفص بن الوليد بن يوسف بن عبدالله، كان على شرطة مصر في ولاية كل من محمد بن عبدالملك (١٠٥هـ) والحُرُّ بن يوسف (١٠٥ . ١٠٨ هـ)، ثم ولاه هشام ولاية مصر في سنة ١٠٨هـ بعد عزل الحُرّ، فوقع بينه وبين عامل الخراج ابن الحبحاب فعزل بعد جمعتين، ثم ولى مصر بعد ذلك مرتين :الأولى سنة ١٢٤ هـ، والثانية سنة ١٢٧هـ، قتله الحوثرة بن مالك في سنة ١٢٨هـ. الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٤، ٧٥،٨٢، ٨٦، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر , نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م، ج ١ ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص٨٢، ابن عساكر : تاريخ دمشق ج٤٩ ص ١١٦.

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٥، ابن تغري بردي : النجوم ج١ ص ٢٦٤ .

- إسماعيل بن عبيد الله :

نشأ في أحضان والده بدمشق، ثم قدم معه إلى مصر، وعاونه في القيام ببعض المهام المتعلقة بوظيفة الخراج [١]، وظل مقيمًا بها حتى غادرها إلى بلاد المغرب بصحبة والده عندما أسندت إليه ولايتها، وقد استعان به والده في إدارة أمور المغرب، فولاه على طنجة [٢] وما والاها من المغرب الأقصى، وجعل معه عمر بن عبدالله المرادي مساعدًا له ، ويبدو أنه لم يوفق في إدارتها بسبب كثرة تمرد سكانها من البربر لبعدها عن مدينة القيروان[٣] حاضرة الولاية ومقر إقامة الوالي من جهة، وانتشار مبادئ الخوارج الصفرية[٤]

---

(١) ساويرس : سير الآباء البطاركة ج٢ ص ١٧٢ .

(٢) طنجة : مدينة فينيقية قديمة، وتسمى بالبربرية وليلي، تقع على الساحل الغربي لبلاد المغرب عند مضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي مقابل الجزيرة الخضراء، بينها وبين القيروان مسيرة ألفي ميل . ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤٣، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق / سعد زغلول عبدالحميد، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، د. ت، ص ١٣٨، ١٣٩ .

(٣) القيروان : من أعظم مدن إفريقية، وهي أول مدينة بنيت بها بعد الفتح الإسلامي، بناها عقبة بن نافع أثناء ولايته الأولى (٥٠ . ٥٥ هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان . ﷺ .، وقد أصبحت منذ بنائها حصنًا للمسلمين ومعسكرًا لجيوشهم، ومركزا من مراكز الإشعاع الحضاري الإسلامي، وحاضرة للمغرب الإسلامي كله في عصر الخلافة الأموية، وبعد أن ظهرت الدويلات المستقلة في المغرب في العصر العباسي اتخذها الأغالبة عاصمة لدولتهم . ابن حوقل : صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . لبنان ١٩٩٢ م، ص ٩٤، ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤٢٠، ٤٢١، محمد محمد زيتون : القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ص ٧٢ وما بعدها .

(٤) الخوارج الصفرية : إحدى فرق الخوارج، سمو بالصفرية نسبة إلى زياد بن الأصفر (ت ٦٧ هـ) أو إلى عبدالله بن صفار التميمي الصريمي، وقيل : سموا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة، ولا محل لتصديق ذلك لأن كثرة العبادة من صفات جميع=

بينهم بينهم من جهة أخر، فصرفه عنها[١] وولاه على السوس الأقصى[٢] فظل على ولايتها حتى قتل على يد الثوار من الخوارج الصفرية من البربر بعد سيطرتهم عليها في سنة ١٢٢ هـ/ ٧٣٩ م[٣] .

و قد كان لابن الحبحاب أولادًا آخرين غير أن المصادر أغفلت ذكرهم ولم تشر إليهم، كما كان له عقب عاش بعضهم في مدينة الموصل[٤] .

=الخوارج، وليست حكرا على الصفرية . البلاذري : أنساب الأشراف ج ٧ ص ١٤٦، ج ١٢ ص ٣٥١، البغدادي : الفرق بين الفرق، تحقيق / محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م، ص ٩٠ . ٩٣، الشهرستاني : الملل والنحل، تحقيق/ أمير علي مهنا، على حسن فاعور، الطبعة الثالثة، دار المعرفة بيروت . لبنان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ج ١ ص ١٥٩، محمود عبدالرازق : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٤٤، ٤٥ .

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقة والمغرب ص ٦٦، ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٨١، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، نشر بعناية / خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٠م، ج ٣ ص ١٧٦، ج٤ ص ٢٤١.

(٢) السوس الأقصى: كورة كبيرة بالمغرب الأقصى قصبتها مدينة طَرْقَلة، تقع إلى الجنوب من السوس الأدنى، وتشمل الأراضي الجنوبية الغربية من منطقة المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ٢٨١، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع على أسما الأمكنة والبقاع، تحقيق / علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، مجلد٢ ص٧٥٥، ٨٨٥ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨١، ٨٢، ابن خلدون : العبر ج٣ ص ١٧٦، ج٤ ص ٢٤١، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٤) الأزدي : تاريخ الموصل، تحقيق / علي حبيبة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، عشر، القاهرة، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، ص ٢٧، ابن عساكر : تاريخ دمشق ج٣٧ ص ٤١٥ .

المبحث الثاني

ابن الحبحاب والياً على خراج مصر

(١٠٥ ـ ١١٦ هـ /٧٢٣ ـ ٧٣٤ م)

ـ ولاية ابن الحبحاب الخراج في مصر :

كانت وظيفة عامل الخراج أو(ولاية الخراج) من الوظائف الإدارية المهمة في الدولة الإسلامية، حيث كان عامل الخراج يُعيَّن من قبل الخليفة مباشرة، ويعتبر الرجل الثاني من حيث الأهمية بعد الوالي، فهو المسئول عن الشئون المالية في الولاية، ومن ثم كان لا يتولاها إلا من توافرت فيه العديد من الشروط التي ذكرها فقهاء النظم السياسية، ومن أهم هذه الشروط ما ذكره الماوردي بقوله : " وعامل الخراج يعتبر في صحة ولايته : الحرية والأمانة والكفاية، ثم يختلف حاله باختلاف ولايته ؛ فإن تولى وضع الخراج أعتبر فيه أن يكون فقيهًا من أهل الاجتهاد، وإن ولي جباية الخراج صحت ولايته وإن لم يكن فقيهًا مجتهدًا [١].

وقد سبق أن ذكرنا في التعريف بابن الحبحاب أنه تدرج في الوظائف الإدارية، وأنه كان في أول أمره كويتبًا صغيرًا في ديوان الخراج، ثم أصبح كاتبًا من كتابه، ثم ولي رئاسته والإشراف عليه في مقر الخلافة في بداية خلافة هشام بن عبد الملك، وهذا التدرج أتاح له فرصة التمرس في النواحي الإدارية والمالية، وكان لهذا أثر كبير فيما اشتهر به من مهارة وتفوق في تنظيم الخراج وتدبير أمور جبايته، فأعجب به هشام وعهد إليه بولاية الخراج في مصر، وهي من أهم ولايات الدولة الإسلامية وأغناها، وأوصاه بالجد في

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق / أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٩٤ .

استصلاح أراضيها وعمارتها، وما يتطلبه إعمارها من إصلاح للجسور، وحفر للترع والقنوات، وإقامة السدود، وغير ذلك من وجوه الإصلاح والتعمير [١] .

وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي تولى فيها ابن الحبحاب وظيفة الخراج بمصر، فذكر خليفة بن خياط [٢] أن ولايته كانت في سنة ١٠٥هـ/٧٢٣ م، في بداية خلافة هشام بن عبدالملك، وذكر الأزدي [٣] أن ولايته كانت في سنة ١٠٧ هـ/ ٧٢٥ م، ووافقه ابن عساكر[٤]، وزاد بأن حدد قدومه إلى مصر بيوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، والأرجح ما ذكره خليفة ابن خياط لاهتمامه في تاريخه بذكر الولاة والعمال عند ترجمته لكل خليفة من الخلفاء المسلمين، ولقربه من الأحداث، ويؤيده ما ذكره ابن تغري بردي[٥] عند حديثه عن ولاية الحُرّ بن يوسف [٦] في سنة ١٠٥هـ

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ج ٨ ص٣٦٩، ابن زولاق : فضائل مصر ص٨٩، ٩٠، المقريزي : الخطط ج١ ص ٢٨٤.

(٢) تاريخ خليفة ص ٣٦٢ .

(٣) تاريخ الموصل ص٢٧ .

(٤) تاريخ دمشق ج ٣٧ ص ٤١٥ .

(٥) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥٨ .

(٦) الحُرّ : هو الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص الأموي، كان من أجل أمراء بني أمية شجاعةً وكرمًا وسؤددًا، ولى مصر في سنة ١٠٥هـ في عهد هشام بن عبدالملك، ثم عزله عنها بسبب شكوى ابن الحبحاب منه في سنة ١٠٨هـ، وولاه على الموصل فبنى بها دارًا للإمارة تسمى المنقوشة، و شق لها نهرا أخذ ماءه من دجلة لسقي أهلها، عرف بنهر الحر، أو النهر المكشوف، توفي سنة ١١٣ هـ. الكندي: الولاة والقضاة ص ٧٣، ٧٤، الأزدي : تاريخ الموصل ص ٢٤ . ٣٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، راجعه وصححه / محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، ج٤ ص ٣٧٥، ٣٧٦، ابن تغري بردي : النجوم ج ١ ص ٢٥٩.

حيث قال : " وليها بعد عزل محمد بن عبدالملك [١] من قبل هشام بن عبدالملك على الصلاة، وكان المتولي على خراج مصر في هذه السنين كلها عبيدالله بن الحبحاب "، كما أن الكندي[٢] ذكر في حوادث سنة ١٠٥هـ أن ابن الحبحاب كتب إلى هشام بن عبدالملك يخبره بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فلا ريب أنه كتب إلى الخليفة يقترح عليه زيادة الخراج بعد أن قام بعملية مسح شامل للأراضي الزراعية في مصر وإحصاء سكانها، وهي عملية شاقة تستغرق وقتًا طويلا، بل ومن غير المستبعد أن تكون ولايته قبل ذلك، وأنها ربما ترجع إلى سنة ١٠٣هـ/٧٢١م، حيث جاء في الوثيقة البردية طراز رقم ١٧٤ مؤرخ شعبان سنة ١٠٣هـ ما يفيد ذلك [٣] .

- إصلاحاته الاقتصادية أثناء ولايته الخراج :

أيًا كان الأمر فيما يتعلق بالخلاف حول بداية ولاية ابن الحبحاب، فالذي لا شك فيه أنه قدم إلى مقر عمله الجديد في مصر وهو ممتلئ حماسة ومزودًا بتوجيه من الخليفة هشام أن يعمل على عمارتها [٤]، ومن ثم عمل بجد ونشاط من أجل النهوض بالقطاع الزراعي بها، وتنظيم وسائل الجباية، وعدم التساهل مع المدلسين والمتهربين منها ؛ ليرفع إيراداتها المالية من الخراج والجزية، وهذا تطلب منه أن يعيد مسح الأراضي الزراعية المنتجة وغير المنتجة وقياس درجة خصوبتها، وإحصاء ملاكها، لتقدير الخراج من جديد على أسس واقعية صحيحة .

---

(١) كانت ولاية محمد بن عبدالملك في شوال من سنة ١٠٥ هـ، ولم يمكث في ولايته إلا نحوًا من شهر . الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣، ٧٤.

(٣) جروهمان : أوراق البردي ج ٣ ص ١١٦، وانظر نص الوثيقة في ملاحق البحث ملحق رقم (١) .

(٤) ابن زولاق : فضائل مصر ص ٨٩، ٩٠، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٨٤ .

- زيادة ابن الحبحاب ضريبة الخراج :

وأيًا كان الأمر فيما يتعلق بمساحة الأراضي الزراعية واختلاف المصادر في تقديرها، فلا شك أن ابن الحبحاب بعد أن انتهى من جولته في القطر المصري تبين له عظم مساحة الأراضي الزراعية وخصوبتها، فأعاد تقدير الخراج من جديد على وحدات المساحة، وكتب إلى الخليفة هشام يخبره بأن أرض مصر الزراعية نظرًا لعظم مساحتها وخصوبتها، وارتفاع عائداتها المالية، تحتمل الزيادة في الخراج المفروض عليها، واقترح عليه أن يزيد على كل دينار قيراطا [١]، فوافق الخليفة على اقتراحه، فزاد ابن الحبحاب على كل دينار قيراطا[٢].

- موقف الأقباط من هذه الزيادة :

على الرغم من أن هذه الزيادة التي أقرها ابن الحبحاب كانت قليلةً جدًا، وكانت على ضريبة الخراج وليست على الجزية، وربما كانت حاجة البلاد المالية تستدعيها في ذلك الوقت، فضلا عن أنها لم تفرض إلا بعد التأكد من أن الأرض الزراعية تحتملها [٣]، إلا أنها أثارت حفيظة الأقباط

(١) أخطأ دوزي فزعم أنه ضاعف الجزية التي يدفعها القبط عشرين مرة . تاريخ مسلمي أسبانيا، ترجمة د / حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣ م، ج١ ص ١٤٣. والحقيقة أن ما زاده ابن الحبحاب كان زيادة طفيفة جدًا، ولمعرفة ذلك على وجه الحقيقة فإن وزن الدينار المستعمل في هذا الوقت كما ذكر د/ ضياء الدين الريس وغيره كان يعادل ٢٥و٤ جرامات، فإذا اعتبرنا الدينار منقسمًا إلى٢٠ قيراطًا فإن مقدار القيراط يكون ٢٥و٤ ÷ ٢٠ = ٢١٢٥و٠،أما إذا اعتبرناه منقسمًا إلى ٢٢ قيراطًا فإن القيراط يكون ٢٥و٤÷ ٢٢= ١٩٣و٠، أما إذ اعتبرناه منقسمًا إلى ٢٤ قيراطًا، فإن القيراط يكون ٢٥و٤ ÷ ٢٤ = ١٧٧و٠ . الخراج والنظم المالية ص٣٧٣، ٣٧٦ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٣، ٧٤، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٣١، ج٣ ص ١٨٣، ٧٦٧ .

(٣) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٧ م، ج١ ص ٥٩،٦٠، محمد جبر أبوسعدة : دراسات في تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص ١١٥، ١١٦ .

وغضبهم، وكانت سببًا في ثورتهم التي اندلعت في سنة ١٠٧ هـ/ ٧٢٥ م لأول مرة منذ الفتح الإسلامي، وكان مركز هذه الثورة في بعض مناطق الحوف الشرقي، فبعث إليهم والي مصر الحُرّ بن يوسف بمجوعة من الجنود تمكنت من إخماد ثورتهم، وقتلت عددًا كبيرًا منهم [١] .

ومع تسليمنا بأن هذه الزيادة التي أقرها ابن الحبحاب كانت سببًا في انتقاض أقباط الحوف الشرقي وثورتهم، ذلك لأن المسائل المالية كانت دائما . في كل العصور وفي كل البلاد . مسائل حساسة تثير الشعوب [٢]، إلا أنها لم تكن السبب الوحيد فقد كانت هناك أسباب أخرى منها :

١. إصدار الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ . ١٠٥ هـ / ٧١٩ . ٧٢٣ م) قرارا في سنة ١٠٤ هـ يقضي بكسر الصلبان والتماثيل، ومحو الصور (الأيقونات) من الكنائس المسيحية في الدولة الإسلامية، ونفذ هذا القرار في مصر، فكسرت الصلبان والتماثيل ومحيت الصور [٣] . فلا شك أن هذا أغضب الأقباط في مصر وهيأهم للثورة .
٢. ما أظهره الخليفة هشام بن عبدالملك من تعاطف تجاه الأقباط الملكانيين[٤]، حيث أنصفهم واعترف لهم في سنة١٠٧هـ بحق انتخاب بطريرك بعد أن أقاموا دون

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٣، ٧٤، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٣١، ج ٣ ص ١٨٣، ٧٦٧ .

(٢) الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ج ١ ص٦٠، محمد جبر أبوسعدة : دراسات في تاريخ مصر ص ١١٦.

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧١، المقريزي : الخطط ج ٣ ص٧٦٧، ستانلي لين بول: تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة وتعليق / أحمد سالم سالم، ط ٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠١٥م، ص ٨٧، ٨٨، شاكر مصطفى : دولة بني العباس، ط ١، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣، ج ٢ ص ١٢٤ .

(٤) الملكانية : هم الأقباط المسيحيون أتباع كنيسة القسطنطينية، وقد عرفوا بهذا الاسم لاتباعهم مذهب الإمبراطور القائل بأن للمسيح . عليه السلام . طبيعتين إلآهية وبشرية . سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٨٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م، ص ٤، ٥ .

بطريرك منذ الفتح الإسلامي، ولم يكتف بهذا بل كتب إلى ابن الحبحاب عامله على الخراج بأن يُعيد إلي الأقباط الملكانية الكنائس الملكانية التي استولى عليها الأقباط اليعاقبة [١] بعد الفتح الإسلامي، حيث غلبوا على جميع كنائس مصر، وأقاموا بها أساقفة [٢] . فلا شك أن تعاطف الخليفة وإصداره هذه الأوامر بحق الأقباط الملكانية وهم أقلية بمصر، أثار غضب الأقباط اليعاقبة وهم أكثرية ودفعهم إلى الثورة .

وأيًا كان الأمر فيما يتعلق بثورة الأقباط وأسبابها، فالذي لا ريب فيه أنه نتيجة لهذه الجهود التي بذلها ابن الحبحاب في النهوض بقطاع الزراعة في مصر، والقدرة على تنظيم وسائل الجباية، إلى جانب ما قام به والي مصر الوليد بن رفاعة [٣] (١٠٩ . ١١٧م / ٧٢٧ . ٧٣٥ م) في سنة ١٠٩هـ من إحصاء لسكان مصر ممن تجب عليهم الجزية [٤]، ارتفع مقدار الأموال

(١) اليعاقبة :هم الأقباط الذين أنكروا ما أقره مجمع خلقدونية عام ٤٥١ م من القول بأن للمسيح . عليه السلام . طبيعتين وقالوا بالطبيعة الواحدة، ويسمون بـ (الأقباط الأرثوذكس أصحاب الديانة الصحيحة) كما عرفوا باسم اليعاقبة، نسبة إلى يعقوب البرادعي أسقف الرها (أورفا الحالية) الذي زار مصر في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ونظَّم كنيستها . سيدة كاشف: المرجع السابق نفسه.

(٢) سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٩م، ج٢ ص ٤٥، ٤٦، المقريزي : الخطط ج ٣ ص ٧٦٨.

(٣) هو الوَليد بن رفاعة بن خالد الفَهميّ، كان يلي الشرطة في مصر في سنة ٧٩هـ، ثم ولَّاه هشام بن عبدالملك ولايتها في سنة ١٠٩هـ، واستمر واليا عليها حتى توفي سنة ١١٧هـ /٧٣٥ م . الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٦ . ٧٩ .

(٤) ذكرت المصادر بخصوص هذا الإجراء أن الوليد بن رفاعة لما ولي مصر في سنة ١٠٩هـ خرج بنفسه ليحصي عدد أهلها، وينظر في تعديل الجزية عليهم، وخرج معه مجموعة من الكتَّاب والأعوان لمساعدته على إنجاز هذا العمل، فقضى ستة أشهر في الصعيد حتى بلغ أسوان، وثلاثة أشهر بالوجه البحري، فأحصى من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية، وأن أصغر قرية لم يكن بها أقل من خمسمائة رجل ممن تجب=

المتحصلة من الجزية والخراج، فبلغت جباية مصر أربعة ملايين دينار، وكانت في الفترات السابقة دون الثلاثة ملايين دينار [١] .

وقد أشار المقريزي[٢] إلى هذا حيث ذكر أن خراج مصر نقص بعد ولايتي عمرو بن العاص : الأولى (٢١ . ٢٥ هـ) والثانية(٣٨ . ٤٣هـ)، وولاية عبدالله بن سعد بن أبي سرح (٢٥ .٣٥هـ) بقوله : " فلم يجبها خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس إلا دون الثلاثة آلاف ألف ما خلا أيام هشام بن عبدالملك، فإنه وصَّى عبيدالله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة "، وعزى أسباب هذا النقص في الفترات السابقة إلى الفساد الإداري، وسريان الخراب في أكثر الأرض، ووقوع الفتن والثورات الداخلية .

ومن ثم فإن هذه الزيادة في إيرادات الخراج التي تحققت في ظل إدارة ابن الحبحاب ترجع إلى تنفيذه لأوامر الخليفة هشام بن عبدالملك الذي أوصاه بالاجتهاد في عمارة مصر، وإلى الجهود التي بذلها في النهوض بالقطاع الزراعي بها، وزيادة مساحة الأراضي الزراعية، ونجاحه في تنظيم وسائل الجباية، ولا ترجع إلى الزيادة الطفيفة على الخراج التي اقترحها على الخليفة،

=عليهم الجزية . ولا شك أن هذا العدد فيه مبالغة غير معقولة ولا مقبولة، لأن معنى هذا أن عدد الرجال الذين تجب عليهم الجزية خمسة ملايين، وطبقًا لهذا العدد كان ينبغي أن تكون حصيلة الجزية وحدها عشرة ملايين دينار، إذا افترضنا أن مقدار ما كان يدفعه كل شخص دينارين فقط، وهو ما يتنافى مع ما ذكره المقريزي من أن مقدار ما جباه ابن الحبحاب من الجزية والخراج معًا بلغ . بعد زيادته في عهده عن الفترات السابقة . أربعة ملايين دينار . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٢١٠، ٢١١، ابن زولاق : فضائل مصر ص٩٠، المقريزي: الخطط ج ١ ص ٢١٥، السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة ٩٦٧، ج١ ص ١٤٦، ١٤٧، ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ص ٢٦٣، ٢٦٤ .

(١) ابن زولاق : فضائل مصر ص ٨٩، ٩٠، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

أو إلى فرض ضرائب إضافية وتحميل أهل مصر فوق طاقتهم، وقد أوضح المقريزي [١] هذا الأمر بما لا يدع مجالا للشك حيث أشار إلى هذا بقوله : " فراكها كلها، وعدَّلها غاية التعديل، فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار، هذا والسعر راخ، والبلد بغير مكس، ولا ضريبة ".

أما ما تشير إليه بعض المصادر الأخرى [٢] من أن ابن الحبحاب جباها مليونين وسبعمائة ألف وثمانمائة وسبعة وثلاثين دينارًا (٨٣٧ و ٧٠٠ و ٢) فهذا وهم من هذه المصادر فإن هذا المبلغ هو ما أرسله إلى دار الخلافة في دمشق بعد دفع رواتب الجند والموظفين، ونفقات عمارة المشروعات والمرافق العامة في مصر، وقد نبَّه المقريزي[٣] علي هذا الوهم بقوله: " فإن هذا القدر هو ما حمله إلى بيت المال بدمشق بعد أعطية أهل مصر وكلفها".

بقي لنا أن نناقش ما يدعيه ساويرس بن المقفع [٤] من مضاعفة ابن الحبحاب للخراج، وتشدده في جبايته، وبطشه بأهل الذمة، وأنه أمر بأن تختم رقاب الناس بالرصاص من سن العشرين إلى ما فوق ذلك، وأن يوسم جميع القبط على أيديهم بعلامة صورة الأسد، وقطع يد من لم ينفذ هذا .

ما يدعيه ساويرس على ابن الحبحاب ليس بغريب من مؤرخ عرف بتعصبه، فقد ادعى أضعافه على والي مصر قرة بن شريك [٥] (٩٠ . ٩٦ هـ /

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) ابن رسته : الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩٢ م، ص ١١٨، ابن خرداذبة : المسالك والممالك، تحقيق / دي غويه، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م، ص ٨٣ .

(٣) الخطط : ج ١ ص ٢٨٥ .

(٤) سير الآباء البطاركة ج ٢ ص ١٧٠ . ١٧٢ .

(٥) انظر: سير الآباء البطاركة ج ٢ الصفحات ١١٩، ١٢٠، ١٢١ . ١٣٢، ١٤٢ . ١٤٥ .

٧٨٠ . ٧١٤ م)، وعلى الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز[١] (٩٩ . ١٠١ هـ / ٧١٧ . ٧١٩ م) فكتابه مليء بالوقائع المزورة والأكاذيب الملفقة الفاضحة، فلم يرد في المصادر الإسلامية القريبة من هذه الفترة [٢] أو المتأخرة عنها [٣] شيئًا عن مضاعفة ابن الحبحاب للخراج، وكل ما ورد فيها يتعلق بالزيادة الطفيفة التي اقترحها على الخليفة، والتي لم يفرضها إلا بعد أن تأكد من أن أرض مصر تحتملها، كما لم تذكر هذه المصادر شيئًا عن فرضه لضرائب إضافية، ولو فعل شيئًا من هذا لذكرته المصادر .

وقد كان ابن الحبحاب ينفذ سياسة الخليفة هشام بن عبدالملك الذي أحسن معاملة الأقباط ومن أجل هذا امتدحه ساويرس [٤] نفسه بقوله : " كان رجلا خائفا من الله على طريق الإسلام، محبًا لساير الناس، ويُخلِّص الأرثوذكسيين " كما امتدح ابن الحبحاب ووصفه بأنه كان يحب البيع الأرثوذكسية كثيرًا، وذكر أن هذا كان محل تقدير وإعجاب من هشام، ومن أجل هذا ولاَّه على خراج مصر، وأوصاه بأن يُجْرِى نصارى مصر على عوايدهم وما بأيدهم من العهد، وأن يُعْطِي كل من يدفع خراجًا إيصالا باسمه حتى لا يظلم أحد في مملكته [٥]، ولم يكن في وسع ابن الحبحاب أن يخالف هذه الأوامر الصريحة، ولا حتى أن تحدثه نفسه بهذا، وهو يعلم تمام العلم

(١) انظر : سير الآباء نفس الجزء الصفحات ١٦٢ . ١٦٤ .

(٢) مثل : كتاب فتوح مصر لابن عبدالحكم (ت ٢٥٧ هـ) وكتاب الولاة والقضاة للكندي (ت ٣٥٠ هـ) وكتاب فضائل مصر لابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ) .

(٣) مثل: كتاب الخطط للمقريزي (ت ٨٤٥ هـ) وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ).

(٤) سير الآباء البطاركة ج ٢ ص ١٦٥ .

(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٧، ١٧٠ . كما أشار المقريزي أيضًا إلى توصية هشام لابن الحبحاب بإحسان معاملة الأقباط وطلبه منه أن يجريهم على عوايدهم وما بأيديهم من العهد. الخطط ج ص ٧٦٧ .

عناية الخليفة هشام بالنواحي المالية، وحرصه على مراقبة وجوه تحصيلها وصرفها حتى لا يظلم أحد، وقد بلغ من حسن تدبيره لأموال المسلمين وسلامة دواوينه أن أصبحت مثالا يحتذى به في الدقة والإتقان، وشهد له بذلك أعدى أعدائه عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس حيث قال : " جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانًا أصح ولا أصلح في أمر الخاصة والعامة والسلطان من ديوان هشام " [١] كما عرف عن هشام اهتمامه بمعرفة أحوال الولايات، وشدة تقصيه لأخبار عماله ومتابعتهم، حتى كان يضع الرقباء والعيون من خيار الناس يحصون أقوال الولاة والعمال فلا شيء يحدث في شرق البلاد ولا غربها إلا وصل إليه خبره، فينظر فيه بنفسه [٢]، قال غسان بن عبدالحميد : " لم يكن أحد من بني مروان أسدُّ نظرًا في أمر أصحابه ودواوينه، ولا أشدَّ مبالغةً في الفحص عن أموره من هشام " [٣] .

ورغم ما اشتهر عن هشام من شدة حرصه على المال واهتمامه بجمعه، إلا أنه كان يتحرى الحق والعدل ويحرص على جمع المال من وجوهه المشروعة، وإنفاقه في وجوهه المشروعة، دون تبذير أو تقتير، فقد ذكر المؤرخون[٤] أنه "كان لا يدخل بيت مال هشام مال حتى يشهد أربعون قسامة، لقد أخذ من حقه، ولقد أعطي لكل ذي حق حقه".

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ج ٨ ص ٣٩١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٠٣، ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٤٦٥.

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت . لبنان ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ج ٢ ص ١٤٧.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٨ ص ٣٩١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٠٣.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق/ بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣ م، ج ٣ ص ٥٤٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م، ص ١٩٧.

وإذا كان هذا حال الخليفة وموقفه من أموال الجبايات، فلا ريب إذًا في أن يكون ابن الحبحاب قد راعى الحق والعدل في جبايته، وهذا ما جعل المقريزي [١] يشيد بسياسته المالية العادلة والمنصفة والتي ترتب عليها زيادة أموال الجباية، ويشير في وضوح لا يحتمل اللبس إلى أن هذه الزيادة لا ترجع إلى إتباعه سياسة مجحفة بالرعية حيث قال بعد أن ذكر ارتفاع مقدار الجباية في عهده عن الفترات السابقة واللاحقة : " والسعر راخ، والبلد بغير مكس ولا ضريبة " .

أما ما ذكره ساويرس عن ابن الحبحاب من أنه أمر بأن تختم رقاب الناس بالرصاص من سن العشرين إلى ما فوق ذلك، وأن يوسم جميع القبط على أيدهم بعلامة صورة الأسد، وقطع يد من لم ينفذ هذا الأمر، فإن صح أنه فعل هذا [٢]، فلا ريب أنه اتخذ هذا الإجراء عندما قام بعملية إحصاء سكان مصر من الأقباط، ليسهل عليه معرفة عدد الذين تجب عليهم الجزية والخراج، فالغرض من هذا الإجراء ليس امتهانهم أو الحط من شأنهم، وإنما الغرض هو أن لا تترك الفرصة للتهرب من القيد في سجلات حصر النفوس التي هي الأساس في جباية الضرائب، ومع هذا فالوثائق البردية تبيّن لنا أن ابن الحبحاب كان يمنح تراخيص (جوازات سفر محلية) لمن يسمح لهم بمغادرة قراهم التي سجلوا في سجلاتها لفترة محددة، ويشدد على عماله بعدم التعرض لهم بسوء [٣]، كإجراء لتنظيم هذا التنقل، وليحد من عملية الهجرة تهربًا من دفع الضرائب، وما يترتب على ذلك من ترك الأراضي الزراعية دون زراعة فينكسر الخراج ويقل الدخل .

---

(١) الخطط ج ١ص ٢٨٤ .

(٢) نسب المقريزي هذا الإجراء إلى والي مصر حنظلة بن صفوان في ولايته الثانية (١١٩ . ١٢٣هـ / ٧٣٧ . ٧٤٠م) . الخطط ج ٣ ص ٧٦٧ .

(٣) انظر نصوص هذه الوثائق البردية في ملاحق البحث ملحق ١، ٢ .

ـ نقل ابن الحبحاب القبائل القيسية إلى مصر :

رأى عبيدالله بن الحبحاب أن العرب اليمنية أو عرب الجنوب بمصر أغلبية، وأن القيسية [١] أو عرب الشمال عامة أقلية، وأن هناك كورًا [٢] بالحوف الشرقي، ليس بها أحد من العرب، فوفد إلى هشام بن عبدالملك في سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧ م، وطلب منه أن يسمح له في نقل بطون من قيس لقلة عددهم بمصر، وذكر له أن ذلك لن يضر بأهل مصر، ولا يكسر خراجًا، فأذن له الخليفة في إلحاق ثلاثة آلاف منهم [٣]، وتحويل ديوانهم إلى مصر، ولكنه اشترط عليه ألا ينزلهم الفسطاط، فبعث ابن الحبحاب إلى بادية نجد يستحث أفواجًا من القيسية للهجرة إلى مصر، فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نصر [٤]، ومائة أهل بيت من بني عامر [٥]، ومائة أهل بيت من أفناء

(١) القيسية : هم أبناء قيس عيلان (عيلان عبد لمضر حضن ابنه قيس فنسب إليه) ابن مضر بن نزار، وقد غلب اسم قيس على سائر القبائل العدنانية أو عرب الشمال، حتى جعل في مقابل عرب اليمن قاطبة، فيقال : قيس ويمن . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ج ١ ص ٢٤٣، القلقشندي : صبح الأعشى في كتابة الإنشا، درا الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢م، ج١ ص ٣٣٩ .

(٢) الكور : جمع كورة، والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى تتبع مدينة تكون حاضرة للكورة، وتسمى الكورة باسمها، ويتفاوت عدد هذه القرى من كورة لأخرى، ويعادل الكورة في عصرنا الحاضر المركز. ياقوت: معجم البلدان ج١/٣٦،٣٧، صفاء حجازي : الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة ص ٢٦.

(٣) جاء في رواية أخرى عند ابن عبدالحكم والمقريزي أنه " أمر له بفريضة خمسة آلاف رجل " . فتوح مصر ١٩٥، الخطط ج ٣ ص ١٨٢.

(٤) بنو نصر : بطن من هوازن، وهم من ولد نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن خفصة بن قيس عيلان . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ج ١ ص ٢٦٩، ٢٧٠، المقريزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩ م، ص ٦٧ .

(٥) بنو عامر : هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان بن مضر . ابن حزم : المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٢، المقريزي : المصدر السابق نفسه .

هوازن، ومائة أهل بيت من بني سليم [١]، فلما قدموا عليه أنزلهم في منطقة بلبيس وما حولها، وقد كان يوجد بها مساحات شاسعة من الأراضي البور التي لم تكن تستغل من قبل، فأمرهم بزراعتها، وقدَّم لهم كل التسهيلات ليتحولوا من طبيعتهم البدوية التي ألفت حياة الترحال طلبًا لمواطن الماء والكلأ إلى حياة الاستقرار والعمل بالزراعة، فمنحهم الأراضي الزراعية، ونظر إلى الصدقة من العشور (أي عشور التجارة) فصرفها إليهم، فاشتروا بها إبلا وخيولا واشتغلوا بتربيتها، وكان هذا أمرًا ميسورًا بالنسبة لهم ؛ لأن تربية الإبل والخيول حرفتهم التقليدية، ولم يكن عليهم مشقة في علفها لجودة المراعي في بلبيس وما حولها، ولم يكتفوا بهذا بل اشتغلوا بالتجارة إلى جانب اشتغالهم بالزراعة وتربية الخيول والإبل، واستخدموا إبلهم في نقل السلع الغذائية التي كانت تنتجها مصر إلى القلزم (السويس حاليا) فدرت عليهم أموالا كثيرة " فكان الرجل منهم يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل " [٢] .

وهكذا نجح ابن الحبحاب في إقامة مجتمع عربي مسلم يعمل بالزراعة في بلبيس وما حولها، يعد أول من امتهن الزراعة من العرب الوافدين إلى مصر منذ الفتح الإسلامي [٣]، ولم يتوقف الأمر عند هذه الأعداد التي جلبها

---

(١) بنو سُلَيم : وهم أكبر قبائل قيس، ينسبون إلى سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان، وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، ومنها حرة بني سليم، وحرة النار بين وادي القرى وتيماء . ابن حزم : المصدر السابق ج ١ ص ٢٦١ . ٢٦٤، القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٣٤٥، ٣٤٦، المقريزي : البيان والإعراب ص ٦٥، ٦٨.

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٩٥، الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٦، ٧٧، المقريزي : البيان والإعراب ص ٦٦، ٦٧، الخطط ج١ ص ٢٣٣، ٢٣٤ .

(٣) كان عمر بن الخطاب . ﷺ . قد حرَّم على العرب ممارسة الزراعة، حتى يظلوا على روحهم العسكرية ، وظل الأمر على ذلك حتى أنزل ابن الحبحاب قيسًا في الحوف الشرقي . ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢١٧، ٢١٨، المقريزي : الخطط ج ٣ ص ١٧٨، ١٨٩ .

بل استمر توافد القيسية من البادية إلى مصر، مدفوعين بما سمعوه عن كثرة خيرات مصر وخصبها، وطيب مقام إخوانهم وتحسُّن حالهم، حتى بلغ عددهم في آخر خلافة هشام بن عبدالملك ألف وخمسمائة بيت، ثم وفد عليهم آخرون حتى صار عددهم في أخر الدولة الأموية ثلاثة آلاف أسرة (١) .

وما قام به ابن الحبحاب من نقل هذه الأعداد الكبيرة من القيسية إلى مصر يدفعنا للتساؤل عن الأسباب التي دفعته إلى استقدامهم، وهل كان هذا من مقتضيات سياسة الإصلاح الاقتصادي التي انتهجها منذ ولايته لوظيفة الخراج أم كان الأمر مجرد تعصب منه لعصبيته من القيسية وتحقيق منفعة شخصية ؟

في الحقيقة لا نستطيع أن نجرد ما قام به ابن الحبحاب من نقل هذه الأعداد من أبناء القبائل القيسية إلى مصر من شبهة العصبية، والتي ترجع إلى تعلقه بهم، واعترافه بفضلهم عليه حيث كان من مواليهم، ولا من رغبته الشخصية في أن يكون هؤلاء القيسية قوةً وسندًا له يحميه ويغطي ظهره عند الخطر، ومع تسليمنا بهذا إلا أن الإنصاف يحتم علينا أن نقرر أن ما قام به ابن الحبحاب لم يكن دافعه العصبية أو المنفعة الشخصية فقط ، فقد كان أيضًا يستهدف من نقلهم إلى مصر تحقيق العديد من الغايات والأهداف التي تخدم الوجود الإسلامي فيها، ومن أهمها :

١. إحداث توازن بين القبائل اليمنية والقيسة في مصر، حتى لا يستأثر اليمنية بالنفوذ والسلطان نتيجة لتفوقهم العددي .

٢ـ استصلاح وزراعة المساحات الواسعة من الأراضي البور التي لم تكن تستغل من قبل في منطقة بلبيس وما حولها، وإحلال بعضهم محل السكان المحليين الذين ماتوا أو تركوا أرضهم ورحلوا إلى أماكن أخرى، حتى لا يصيب الزراعة ضرر، وهي عماد الاقتصاد المصري .

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٧، المقريزي : البيان والإعراب ص ٦٧ .

٣- تأمين الوجود الإسلامي في مصر، وتقوية شوكة المسلمين بها بعد ما شاهده من ثورة الأقباط في منطقة الحوف الشرقي سنة ١٠٧هـ، بدليل إسكانهم في منطقة الحوف موطن هذه الثورة .

٤- ومن غير المستبعد أن تكون حركة توطين القبائل القيسية في الحوف الشرقي كانت تستهدف أيضًا نشر الإسلام، وسواء أكان هذا مقصودًا منذ البداية أم لم يكن، فلا ريب أن وجود هذا التجمع العربي الكبير في منطقة كانت خالية من العرب قبل ذلك، واشتغالهم بالزراعة نتج عنه اختلاطهم بأهالي البلاد من المصريين في المناطق البعيدة والمجاورة، وكان لهذا الاختلاط أثره في انتشار الإسلام في قرى مصر بعد اطلاع سكانها على الإسلام ومبادئه السمحة، وأخلاقه النبيلة، فوجدوا في أنفسهم هوى للإقبال عليه، والدخول فيه [١]، وإلى هذا يشير المقريزي[٢] بقوله : " ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة،عندما أنزل عبيدالله بن الحبحاب مولى سلول قيسًا بالحوف الشرقي " .

- مصالحة ابن الحبحاب للبُجَة [٣] :

(١) عبدالمجيد عابدين : دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، نشر ضمن تحقيقه لكتاب البيان والإعراب للمقريزي، ص ١٠١، سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٢٥١.

(٢) الخطط ج ٣ ص ١٨٢ .

(٣) البُجَة أو البُجَاة : قبائل وبطون حامية تسكن الصحراء الشرقية ما بين النيل والبحر الأحمر، وتمتد أوطانهم من جنوبي مصر في الشمال إلى حدود الحبشة في الجنوب، وهم ما يعرفون الآن باسم البشاريين والهدندورة والأمرار وبني عامر . مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١١، ص ١٣٧ حاشية (٢٨) .

لم تقتصر جهود ابن الحبحاب خلال فترة ولايته للخراج في مصر على الاهتمام بالنواحي المالية والاقتصادية وإنما اهتم أيضًا بالجانب العسكري، فساعد في نشر الأمن في الوجه القبلي وحماية حدود مصر الجنوبية التي كانت تتهددها قبائل البُجَة .

وهذا يدعونا للحديث عن علاقة ولاة مصر بالبُجَة وأول ما يصادفنا في هذا الشأن ما تذكره المصادر التاريخية عن والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح . ﷺ . (٢٥ . ٣٥ هـ) من أنه بعد أن غزا النوبة في سنة ٣١ هـ / ٦٥٢م، وعقد مع أهلها معاهدة عرفت في المصادر الإسلامية بمعاهدة البقط [١]، عاد بقواته إلى مصر فشاهد جموع البُجَة على ضفاف نهر النيل، ولما سأل عن أحوالهم علم أنهم بادية ليس لهم دولة أو حكومة يرجعون إليها في شئونهم العامة أو الخاصة، فلم يعرهم اهتمامًا [٢] .

وقد كان الهدوء والتعايش السلمي هو طابع العلاقات بين البُجَة والمسلمين خلال عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي، غير أن البُجَة لم يحافظوا على هذا الوضع المستقر مع المسلمين وأغاروا على مناطق من

(١) البَقْط : ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عنهم . وقد اختلف العلماء المحدثون في أصل كلمة بَقْط، فقال بعضهم : بأنها عربية صرفة، وقال بعضهم : بأن أصلها لاتيني وهو **pactum**، ومعناها : الاتفاق والموادعة، وقال البعض الآخر : بأن أصلها مصري قديم ومعناها : الضريبة التي تدفع عينًا . المقريزي : الخطط ج ١ ص٥٦٠، مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ص ١٣٦، حاشية ٢٢. وعن هذه المعاهدة وبنودها انظر: البلاذري : فتوح البلدان، تحقيق /عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٧م، ق ٣ ص ٣٣١ . ٣٣٣، ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٥٣ . ٢٥٥، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠، ج ٤ ص ١١١ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٥٥، المقريزي : الخطط ج١ ص ٥٤٨ .

صعيد مصر في فترة خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥ . ١٢٥ هـ)، ولم تشر المصادر إلى تاريخ محدد لهذه الغارة، ومع هذا فيبدو أنها حدثت في سنة ١٠٧هـ /٧٢٥ م أثناء انشغال والي مصر الحُرُّ ابن يوسف بقمع ثورة الأقباط في منطقة الحوف، أو أثناء مرابطته في ثغر دمياط [١]، الأمر الذي دفع ابن الحبحاب والي الخراج إلى التصدى لهم ومصالحتهم نيابةً عنه .

أما عن الأسباب التي دفعت البُجَة إلى الإغارة على صعيد مصر، فلم تشر المصادر إلى هذه الأسباب، ومع هذا فيبدو أن طبيعة البُجَة الحربية الميالة للإغارة والحرب [٢]، وعدم ارتباطهم باتفاقية أو صلح مع المسلمين[٣]، وانشغال والي مصر الحر بن يوسف بقمع ثورة الأقباط في منطقة الحوف، هي التي دفعتهم إلى الإغارة على صعيد مصر وحدودها الجنوبية، ومن غير المستبعد أيضا أن يكون تكاثر دخول العرب في أرض البُجَة بحثًا عن المعدن في منطقة العلاقي، وغلبتهم على أرزاقهم هو الذي دفعهم إلى مهاجمة حدود مصر الجنوبية [٤]، وقد كانت هذه الغارة بقصد السلب والنهب الذي غالبا ما تلجأ إليه القبائل البدوية عند اشتداد حاجتها إلى الغذاء في مواسم الجفاف والقحط الذي يصيب الوديان التي يعتمدون عليها [٥] .

وأيا كانت الأسباب التي دفعت البُجَة للإغارة فقد تصدى لهم ابن الحبحاب عامل خراج مصر، وعقد معهم معاهدة نظَّمت علاقتهم بالدولة

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٣، ٧٤ .

(٢) فقد وصفهم المقريزي على لسان ابن سليم الأسواني بقوله : " وفي البُجَة شر، وتسرُّع إليه، ولهم في الإسلام وقبله أذية على شرق صعيد مصر خرَّبوا هناك قرى عديدة . الخطط ج ١ ص ٥٤٨ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٥٥، المقريزي : المصدر السابق نفسه .

(٤) شاكر مصطفى : دولة بني العباس ج ٢ ص ٣٧١ .

(٥) محمد محمود الحويري : أسوان في العصور الوسطى، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة ١٩٨٠ م، ص ٦٠ .

الإسلامية لأول مرة، وهي معاهدة تشبه في كثير من بنودها معاهدة البَقْط التي عقدها عبدالله بن سعد مع أهل النوبة، وقد تضمنت شروطًا من أهمها :

١ـ أن يدفع البُجَة في كل سنة إلى ولاة المسلمين في مصر ثلاثمائة جمل صغير.

٢ . السماح لتجار البُجَة أن يدخلوا ريف مصر تجارًا غير مقيمين .

٣ . أن يلتزم البُجَة بالمحافظة على أمن وسلامة من يدخل بلادهم من المسلمين وأهل الذمة للتجارة أو غيرها حتى يغادروها، فلا يقتلوا مسلمًا أو ذميًا، فإن قتلوه فلا عهد لهم .

٤. عدم إيواء الفارين والآبقين من عبيد المسلمين، وتقديم الدعم للولاة من أجل استعادتهم .

٥ ـ أن يتعهد البُجَة بحماية أموال المسلمين في بلادهم، وعدم الإغارة على قطعانهم، وإذا أخلوا بذلك ألزموا بدفع غرامة مالية مقدارها أربعة دنانير عن كل شاة، وعشرة دنانير عن كل بقرة .

٦ . أن يظل وكيل البُجَة في الريف المصري رهينة في أيدي المسلمين ؛ لضمان التزامهم بالاتفاقية وعدم الإخلال بها [١] .

وبالنظر في شروط هذه المعاهدة نجد أنها حققت العديد من المكاسب للطرفين، ومن أهمها :

١. وضعت حدًا لتعدي البُجَة على حدود مصر الجنوبية طيلة العصر الأموي، وألزمتهم ببعض التكاليف المالية التي تصرفهم عن ذلك .

٢ـ أتاحت للبُجَة دخول ريف مصر كتجار مجتازين غير مقيمين لشراء ما يحتاجون إليه .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٥٥، البكري : المسالك والممالك، تحقيق / أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢ م، ج ١ ص ٣٢٦، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٥٤٨ .

٣. فتحت الطريق أمام المسلمين لنشر دينهم وثقافتهم في بلاد البُجَة بالوسائل السلمية، حيث ألزمت البُجَة بحماية كل مسلم أو معاهد يدخل بلادهم للتجارة أو غيرها حتى يخرج منها .

- علاقة ابن الحبحاب بولاة مصر :

كان لعبيد الله بن الحبحاب مكانة كبيرة في دولة بني أمية عامة وفي مصر خاصة، فقد ظل يلي خراج مصر لأكثر من إحدى عشرة سنة (١٠٥ . ١١٦ هـ/ ٧٢٣ . ٧٣٤ م) حتى خرج منها إلى المغرب عندما أسند إليه هشام بن عبدالملك ولاية بلاد المغرب والأندلس سنة ١١٦هـ، بينما تعاقب على حكم مصر في فترة ولايته للخراج خمسة ولاة، وكان يتمتع أثناء ذلك بنفوذ كبير، وحاز سلطة فاقت سلطة الولاة الذين عاصرهم، وعظم شأنه وعلت مكانته وامتد نفوذه إلى عزل الولاة وتوليتهم برضى الخليفة هشام ؛ وذلك لثقته فيه، ولعلمه بأنه يقدِّم مصلحة الخلافة فوق كل اعتبار[١].

وخلال هذه الفترة لم تكن العلاقة بينه وبين بعض ولاة مصر على ما يرام، فقد كان يسودها الخلاف في بعض الأحيان، ولعل هذا يرجع في المقام الأول إلى المنافسة بينه وبين الولاة بسبب المكانة التي تبوأها والنفوذ الذي تمتع به، وإلى الخلاف بينه وبينهم حول بعض الأمور المتعلقة بالإجراءات المالية، ثم إلى طبيعة وظيفته التي كانت تستدعي استخدام الشدة في بعض الأحيان، فكان بعض الولاة يتدخلون في أعماله للحد من نفوذه ومن تصرفاته التي من شأنها أن تثير النفوس وتؤدي إلى الثورة، فيرفض ابن الحبحاب هذا التدخل فيحل سوء التفاهم بينه وبينهم، ويعمل كل منهما على التخلص من الآخر. وفيما يلي عرض لهذه العلاقة وطبيعتها كما تصورها المصادر:

(١) سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٢٣٣ .

ـ الخلاف بينه وبين والي مصر الحر بن يوسف :

في أثناء ولاية ابن الحبحاب للخراج وقع خلاف بينه وبين والي مصر الحُرّ بن يوسف (١٠٥ . ١٠٨هـ/ ٧٢٣ . ٧٢٦ م)، وقد أغفلت المصادر الحديث عن أسباب هذا الخلاف، ورغم هذا فيبدو أن سببه يرجع في المقام الأول إلى تزايد سلطان ابن الحبحاب وغلبته على شئون البلاد، وربما كان سببه اختلافهما حول بعض الأمور المتعلقة بالإجراءات المالية، والتي كانت أحد أسباب ثورة الأقباط في منطقة الحوف الشرقي .

وأيا كانت الأسباب فقد وقع الخلاف بينهما وبلغ حدًا وصفه ابن عذارى [١] عند حديثه عن أحداث سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥ م بقوله : " وفي هذه السنة اختلط أمر ولاة مصر اختلاطًا كثيرًا " ثم تزايد هذا الخلاف وبلغ ذروته في سنة ١٠٨ هـ/ ٧٢٦م، فكتب ابن الحبحاب إلى الخليفة هشام بن عبدالملك يشتكي الحُرّ، وربما تضمنت الشكوى إيحاءً بعزله من ولاية مصر، وعلى الرغم من أن الحُرّ كان من البيت الأموي، ومن الأمراء المعوّل عليهم في الإدارة والإصلاح، وفضلا عن هذا كانت أخته أم حكيم بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص زوج الخليفة هشام بن عبدالملك [٢]، إلا أن هشامًا لم يستمع إلى دفاع الحُرِّ عن نفسه، وأخذ بما أشار به ابن الحبحاب ؛ لثقته فيه، ولعلمه بأنه يقدم مصلحة الخلافة فوق كل اعتبار . ولمَّا أحسَّ الحُرُّ بضعف موقفه، وأيقن أنه معزول من ولايته لا محالة، كتب إلى الخليفة يستعفيه من ولاية مصر، فصرفه عنها في ذي القعدة سنة ١٠٨هـ، وأسند إليه ولاية الموصل [٣] .

---

(١) البيان المغرب ج ١ ص ٧٨ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ج ٨ ص ٣٧٦، الأزدي : تاريخ الموصل ص ٢٤ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٤، المقريزي : الخطط ج ١ ص ٨٣٥، ابن تغري بردي : النجوم ج ١ ص ٢٩٥.

ـ موقفه من ولاية حفص بن الوليد :

كان حفص بن الوليد فاضلا ثقةً، وجيهًا عند خلفاء بني أمية ومن أكابر أمرائهم [١]، تولى وظيفة صاحب الشرطة بمصر أثناء ولاية محمد بن عبد الملك (١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م) وولاية الحُرّ بن يوسف (١٠٥ . ١٠٨ هـ)، واستخلفه الحُرُّ على ولاية مصر نيابة عنه لمدة ثلاثة أشهر عندما خرج إلى دمياط مرابطًا في سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥م، وفي شوال من نفس السنة لمَّا وفد على هشام بن عبدالملك [٢]، و لما أعفى هشام بن عبد الملك الحُرّ بن يوسف من ولاية مصر لم يكن أمامه سوى صاحب شرطتها حفص بن الوليد، فعيَّنه واليًا عليها في ذي القعدة سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م [٣] .

بعد أن تولى حفص أمر مصر أخذ يقتفي خطوات الحُرِّ في إدارتها، ويبدو أنه تدخل في أعمال ابن الحبحاب ليحد من بعض تصرفاته المالية التي من شأنها أن تثير النفوس وتؤدي إلى الثورة، فأغضب هذا التدخل ابن الحبحاب وأثار حفيظته، فكتب إلى الخليفة يشتكي حفصًا بقوله : " إنَّك لم تعزِل الحُرَّ إذ ولَّيت حَفْصًا " [٤] كما اشتكاه بعض المصريين، فعزله هشام ولم يكن قد مضى على ولايته سوى جمعتين فقط تلبية لرغبة ابن الحبحاب، ومما يدل على أن عزله كان ترضية لابن الحبحاب ولم يكن بسبب غضب الخليفة عليه استقدام الخليفة له بعد عزله عن مصر، وطلبه منه أن يلي خراسان عوضًا عن أسد بن عبدالله القسري، فامتنع حفص من ذلك [٥] .

---

(١) ابن تغري بردي : المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٣ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٢ . ٧٤ .

(٣) ابن يونس الصدفي : تاريخ ابن يونس، جمع وتحقيق/ عبدالفتاح فتحي عبدالفتاح، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠م، القسم الأول (تاريخ المصريين) ص١٣٢، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١ ص٢٩٢.

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٥ .

(٥) ابن تغري بردي : النجوم ج ١ ص ٢٦٤ .

بعد أن عزل هشام بن عبدالملك حفص بن الوليد أطلق يد ابن الحبحاب في إدارة أمور مصر، وفوَّضه في اختيار من يراه صالحا لولايتها، فاختار عبدالملك بن رفاعة بن خالد الفهمي، وكان بالشام ثم قدم مصر في أول المحرم سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م وهو مريض فتوفي بها، ثم ولي من بعده أخوه الوليد بن رفاعة في المحرم من سنة ١٠٩ هـ [١].

ولم يكن أمر ابن الحبحاب نافذًا على ولاة مصر فقط، بل كان نافذًا أيضًا في اختيار قضاتها، وذلك أن والي مصر الوليد بن رفاعة بعد أن عزل قاضيها يحيى بن ميمون الحضرمي [٢] في سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م، رغب في أن يوّلي سيعد بن ربيعة الحضرمي القضاء فامتنع، فتدخل ابن الحبحاب وراجعه في هذا الأمر، وأشار عليه بتولية تَوْبة بن نَمِر الحضرمي [٣] قائلا: "بل أَرى أن تُولّي تَوْبة بن نَمِر فإنّه وإنّه"[٤] ويبدو أن هذا الرأي لم يلق قبولا من الوليد بن رفاعة، فألح عليه ابن الحبحاب حتى قبل، وإلى هذا يشير الكندي [٥] بقوله : " وقام عُبَيْدالله بن الحَبْحاب بأمر تَوْبة حتّى ولِيَ".

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٥، ٧٦ .

(٢) هو يحيى بن ميمون بن ربيعة بن إياس الحضرمي، يكنى أبا عمرة، ولاه هشام بن عبدالملك قضاء مصر في سنة ١٠٥ هـ، ولم يكن محمودا في ولايته، شكى إليه أهل مصر كُتَّابه، لأنهم كانوا لا يكتبون قضية إلا برشوة، فلم يستمع لشكواهم، ولم يعزل أحدًا منهم، ووصلت أخباره إلى هشام، فأمر واليه على مصر الوليد بن رفاعه بعزله فعزله في سنة ١١٤هـ، وتوفي في آخرها . الكندي :الولاة والقضاة ص ٣٤١،٣٤٠، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق /علي محمد عمر، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٤٦٥ . ٤٦٧.

(٣) هو تَوْبة بْن نَمِر بن حرمل الحضرميّ، يُكْنى أَبَامحجن، وأباعبدالله، تولى قضاء مصر من قِبَل الوليد بن رفاعة في صفر سنة ١١٥ هـ، وسار فيه سيرة حسنة، وحمدت قضاياه، وهو أول من وضع للأحباس ديوانًا، توفي في شهر ربيع الآخر سنة١٢٠هـ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ١٤٢ وما بعدها، الكندي : الولاة والقضاة ص ٢٤٢ وما بعدها، ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٠٩ . ١١١.

(٤) الكندي: الولاة والقضاة ص ٣٤١، ٣٤٢، ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص ١٦٢

(٥) المصدر السابق ص ٤٢ .

ومن هذا العرض يتضح لنا أن سلطة ابن الحبحاب والي الخراج فاقت سلطة الولاة الذين عاصرهم، وأنه بهذه السلطات الواسعة لم يكن مجرد وال على الخراج وإنما كان بمثابة نائب للخليفة في مصر، يشرف على كافة أمورها، وبيده الحل والعقد، واختيار رجال الحكم والقضاء، ومن ثم كان يخاطب في المكاتبات الرسمية بلقب (أمير)، وينعت عماله بـ (عامل الأمير) [١]، وقد نال ابن الحبحاب هذه السلطات الواسعة، بسبب ما أظهره من إخلاص للدولة الأموية، وسعي لخدمة المصلحة العامة، حتى أصبح موضع ثقة الخليفة هشام عبد الملك .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المكانة الرفيعة التي تبوأها ابن الحبحاب أثناء ولايته على الخراج في مصر دفعت بعض المصادر[٢] وبعض المراجع الحديثة [٣] إلى الزعم بأنه كان واليًا على مصر، والحقيقة أنه لم يكن أبدًا واليًا على مصر، وإنما كان واليًا على الخراج فقط بدليل عدم ذكر الكندي له بين ولاة مصر .

❁❁❁❁❁

(١) جروهمان: أوراق البردي العربية ج ٣ ص ١١٦، ١١٩، ١٣٥، ملاحق البحث: ملحق ١، ٢.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة ص ٣٤٧، مجهول: أخبار مجموعة ص ٣٢، ابن الأبار: الحلة السيراء ج ٢ ص٣٣٦، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٨١، الذهبي: تاريخ الإسلام ٣ ص ٢٠٤، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٤١.

(٣) إبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، ص ١٠٦، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩ م، ص ٣٥٣، عمر فروخ : العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط من فتح المغرب والأندلس إلى آخر عصر الولاة (١٣٨ هـ / ٧٥٦ م)، الطبعة الأولى، منشورات المكتب التجاري، بيروت ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م، ص ١٣٥، ١٣٦ .

المبحث الثالث

ابن الحبحاب والياً على المغرب والأندلس

(١١٦ ـ ١٢٣ هـ / ٧٣٤ ـ ٧٤٠ م)

ـ ولاية ابن الحبحاب على بلاد المغرب والأندلس :

غادر عبيدة بن عبد الرحمن السلمي [١] بلاد المغرب في شوال من سنة ١١٤هـ / ٧٣٢ م بعد أن استخلف عليها عقبة بن عبدالله بن قدامة التجيبي، متجهًا إلى حاضرة الخلافة دمشق ومعه الكثير من الهدايا والتحف والغنائم، فدخلها في أوائل سنة ١١٥هـ / ٧٣٣ م، وما إن وصل إليها حتى طلب من الخليفة هشام بن عبدالملك إعفاءه من منصبه فأعفاه [٢]، ولا ندري

(١) هو عبيدة بن عبدالرحمن السلمي القيسي، ابن أخي أبي الأعور السلمي، قائد خيل معاوية . ﷺ . في موقعة صفين، ولي أذربيجان في عهد عمر بن عبدالعزيز، ثم ولاه هشام على إفريقية في ربيع الأول سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨ م، واستمر واليا عليها أربع سنوات وستة أشهر، ظهرت منه خلالها بعض بوادر العصبية العربية، فقد كان قيسيا من غلاة القيسية، أساء إلى اليمنية وحبسهم وأغرمهم وعذب بعضهم . الرقيق : تاريخ إفريقة والمغرب ص ٦٤، ٦٦، ابن الأبار : الحلة السيراء ج١ ص ٦٦، النويري : نهاية الأرب ج ٢٤ ص٣٠، ٣١، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٧٩، ٨٠.

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ٢٩٢، ٢٩٣ . وقد ذكر الرقيق وابن عذارى أن الخليفة هشام بن عبدالملك عزله بسبب سوء معاملته لليمنية، بعد أن كتب إليه أبو الخطار بن ضرار الكلبي يشكو إليه ما لقيه اليمنية على يديه في أبيات منها:

أفأتم بني مروان قيسًا دماءنا ... وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل

تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٤ . ٦٦، البيان المغرب ج ١ ص ٨٠، والأرجح ما ذهب إليه ابن عبدالحكم من أن عبيدة هو الذي طلب إعفاءه بدليل أن الخليفة لم يعف عقبة التجيبي نائب عبيدة إلا بعد فترة، كما أن هذه الأبيات التي ذكرها الرقيق وابن عذارى واعتمدا عليها في القول بعزله، كتب بها أبو الخطار في فترة تالية . انظر : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق / إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب=

ما الأسباب التي دفعته إلى التنحي طوعًا عن منصبه، ومع هذا فمن غير المستبعد أن يكون سبب تنحيه هو أنه خشي انفجار الأوضاع في بلاد المغرب بسبب سياسته القبلية المتشددة التي سلكلها تجاه القبائل اليمنية في بلاد المغرب، فقد كان قيسيًا متعصبًا، أساء إلى العرب اليمنية، وأغرمهم وعذَّبهم (١) .

وأيًا كان الأمر فيما يتعلق بأسباب تنحي عبيدة بن عبدالرحمن السلمي، فقد بقي خليفته يلي المغرب بصورة مؤقتة سنة وستة أشهر، حتى عثر الخليفة هشام على الرجل المناسب لإدارة بلاد المغرب والأندلس، وكان هذا الرجل هو ابن الحبحاب عامله على خراج مصر، فكتب إليه يأمره بالمسير إلى بلاد المغرب، فخرج إليها بصحبة ابنه إسماعيل بعد أن استخلف على خراج مصر ابنه القاسم، فوصل إلى القيروان مقر ولايته في بلاد المغرب في ربيع الآخر سنة ١١٦هـ/ مايو ٧٣٤م (٢) .

وقد كان اختيار هشام ابن عبدالملك لابن الحبحاب لولاية المغرب والأندلس دون غيره، بسبب ثقته فيه واعتماده عليه بعد نجاحه في إدارة شئون الخراج بمصر، وبسبب ما كان يتمتع به من ميزات وخصائص ذاتية ترجع إلى نشاطه وكفاءته الإدارية، ومقدرته السياسية، وأمانته وشدة إخلاصه

=المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٣٩ . ٤٣، ابن الأبار : الحلة السيراء ج ١ ص ٦٤ . ٦٦ .

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٤، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٧٩، ٨٠ .

(٢) الرقيق : المصدر السابق ص ٦٦، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٤٧، ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣، ابن الكرديوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق / صالح بن عبدالله الغامدي، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م، ج ٢ ص ١١٤٥، ١١٤٦، ابن عذارى : المصدر السابق ج١ ص ٨٠، ٨١ .

للخلافة، وتفانيه في سبيل انجاز ما أوكل إليه من مهام، ومن غير المستبعد أن يكون هشام قد استهدف من اختياره استثمار قدراته الشخصية والإدارية في ضبط شئون هذه الولاية، وتهدئة نفوس العرب اليمنية في بلاد المغرب بعد أن تزعزعت أثناء ولاية عبيدة بن عبدالرحمن السلمي الذي وصفته المصادر[١] بأنه كان قيسيًا مسرفًا في عصبيته القيسية .

ولا صحة لما يدَّعيه ابن تغري بردي [٢](ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ونقله عنه بعض المؤرخين المحدثين [٣] من أن تولية ابن الحبحاب على بلاد المغرب كانت إبعادًا له عن خراج مصر، وأن هذا كان بتدبير من والي مصر الوليد بن رفاعة (١٠٩ . ١١٧هـ) الذي لم يدخر وسعًا في التخلص منه، حتى نجح في إقناع الخليفة هشام بضرورة إبعاده، فولاه على المغرب والأندلس، إذ كيف تكون تولية ابن الحبحاب على هذه المنطقة الشاسعة من أملاك الدولة الإسلامية عقابًا له وإبعادًا ؟ وكيف يستقيم هذا مع ما أجمعت عليه المصادر[٤] من أنه استخلف ابنه القاسم على خراج مصر قبل خروجه

(١) الرقيق: المصدر السابق ص ٦٤، ابن الأبار: الحلة السيراء ج ص ٦٦، ابن عذارى: المصدر السابق ج١ ص ٧٩، ٨٠، النويري: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٠، ٣١ .

(٢) النجوم ج١ ص ٢٦٦ .

(٣) حسين مؤنس : تاريخ مصر من الفتح العربي إلى أن دخلها الفاطميون، نشر ضمن كتاب تاريخ الحضارة المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مكتبة مصر، المجلد الثاني ص ٣٤٩، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا ٢٠١٠ م، ج٢ ص ٢١٦، صفاء حجازي: الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة ص ٣٦ حاشية ٦٣.

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ٢٩٣، الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٦، ابن عساكر : تاريخ دمشق ج٣٧ ص٤١٥، ج٤٩ ص ١١٦، ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص ٣٣٦، ابن الأثير: الكامل ج٤ ص ٤١٦، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٨١، الذهبي: تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٢٠٤، ابن خلدون: العبر ج٣ ص ١٧٦، ج٤ ص٢٤١.

منها ؟ فلو كان الخليفة يهدف بتوليته عقابه وإبعاده عن مصر، فلماذا إذًا سمح له بأن يستخلف ابنه مكانه، ولماذا أقره على خراجها بعد ذلك ؟ .

سياسته الداخلية وأهم أعماله الإدارية والعسكرية :

ساس ابن الحبحاب ولايته الواسعة في بلاد المغرب والأندلس من مقره بالقيروان بدراية وحكمة، وتولاها بعزيمة وهمة، فضبط أمورها، وانتهج سياسة راشدة قوية استهدف منها تأكيد سيادة الخلافة الأموية وسلطانها على بلاد المغرب، وذلك بإخضاع قبائل البربر المتمردة في المغرب الأقصى بشكل نهائي، ومواصلة سياسة الجهاد البحري التي سار عليها أسلافه من ولاة المغرب، ولكن بشكل أكثر ترتيبًا وتنظيمًا، وبإمكانيات أعظم، ثم تقوية مركزه الشخصي عند الخليفة هشام بن عبدالملك [١] .

وقد حرص ابن الحبحاب في بداية ولايته على إعادة ترتيب الأوضاع في بلاد المغرب وتجاوز الآثار السلبية التي خلفتها سياسة سلفه عبيدة بن عبدالرحمن السلمي، فأحسن معاملة العرب اليمنية وأسند إليهم بعض الأعمال الإدارية والعسكرية، ولا صحة لما يدعيه بعض المؤرخين المحدثين[٢] من إفراط ابن الحبحاب في التعصب للقيسية، ومحاباته لهم بإسناد المناصب الرئيسية (الولايات) إليهم، وإبعاد اليمنية الأمر الذي أوغر صدور بعضهم عليه فوقفوا منه موقف العداء، فبمجرد النظر في قوائم عماله وتراجمهم يتضح أنه اعتمد على العرب اليمنية أثناء ولايته وأسند إليهم بعض الولايات وقيادة بعض

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩ م، ج١ ص ٢٨٦ .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ . ٧٥٦ م)، الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت . لبنان ٢٠٠٢ م، ص ٢٢٢، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٩م، ص ٢١٢، إبراهيم بيضون : الدولة العربية في إسبانيا ص ١٠٠، ١٠٦ .

الحملات البحرية التي أرسلها لغزو جزر البحر المتوسط الغربية، فقد أفرج عن المستنير بن الحارث الحريثى [١] القائد البحري اليمني وولاَّه على مدينة تونس [٢] القاعدة البحرية، وثاني مدينة في بلاد المغرب من حيث الأهمية بعد القيروان حاضرة الولاية، وولَّى عمر بن عبدالله المرادي اليمني على طنجة وما ولاها في المغرب الأقصى [٣]، وولَّى على تلمسان موسى بن أبي خالد مولى معاوية بن حديج الكندي اليمني الأصل [٤]، وولى قثم بن عوانة الكلبي اليمني قيادة بعض الحملات البحرية التي أرسلها إلى صقلية، ومنها حملتي سنة ١١٨هـ/٧٣٧ م، وسنة ١١٩ هـ/ ٧٣٧ م، وسيأتي الحديث عنهما . وكان من نتائج هذه السياسة المعتدلة والحكيمة أن ساد الهدوء والسكينة معظم أرجاء المغرب في بداية ولاية ابن الحبحاب، وإلى هذا أشار الرقيق القيرواني [٥] بقوله: " وأقام ابن الحبحاب مدة، والأمر يجري على ما يحب من الظفر والغلبة ". وقد قام ابن الحبحاب أثناء فترة ولايته لبلاد المغرب (١١٦- ١٢٣هـ)

(١) كان المستنير بن الحارث قائدًا للحملة التي خرجت لغزو صقلية في مائة وثمانين مركبا سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م أثناء ولاية عبيدة بن عبدالرحمن السلمي، ولكن تلك الحملة طالت إقامتها في صقلية حتى دخل فصل الشتاء، فتعرضت في طريق عودتها لعاصفة بحرية أغرقت معظم سفنها، ولم ينج منها سوى سبعة عشر مركبًا كانت منها سفينة القيادة وفيها المستنير، وعندما علم عبيدة بما حدث للحملة عدَّ ذلك تقصيرًا من المستنير، فأرسل إلى واليه على طرابلس يأمره أن يشد وثاقه، وأن يبعثه مع غنائمه إلى القيروان، فلما وصل إلى القيروان أمر بجلده جلدًا موجعًا، وأركبه على حمار وطاف به في شوارعها، ثم جعل يضربه في كل جمعة، وأودعه السجن . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص٣٤١، ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣، ابن الأثير: الكامل ج٤ ص ٤٠٤.

(٣) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨١ .

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص٢٩٤ .

(٥) تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٦ .

بجهود عظيمة في المجال الإداري والعسكري والعمراني، وفيما يلي عرض لهذه الجهود .

ـ تنظيماته الإدارية في بلاد المغرب والأندلس :

يرجع الفضل في التنظيم الإداري لبلاد المغرب إلى حسان بن النعمان (٧٣ . ٨٥ هـ/٦٩٣ . ٧٠٤ م) فهو الذي وضع أساس النظام الإداري لتلك الولاية، ثم سار الولاة من بعده على نهجه، فلما ولي ابن الحبحاب اهتم بالتنظيم الإداري لبلاد المغرب، وكان قد تمرَّس في مناصب إدارية عديدة أهلته ليكون إداريًا حازمًا وقديرًا، فلم يكد يصل إلى القيروان مقر ولايته حتى أخذ يرسم السياسة الإدارية لهذه البلاد، فولَّى على نواحي المغرب عمالا حازمين ينفذون سياسته، وأجرى بعض التعديلات الإدارية فقسَّم المغرب الأقصى إلى ولايتين[١] :

ـ الأولى السوس الأدنى [٢]، وتشمل مدينة طنجة وما يليها من المغرب الأقصى، وقد استعمل عليها في البداية ابنه إسماعيل وجعل معه عمر بن عبدالله المرادي مساعدًا له، ويبدو أنه لم يوفق في إدارتها بسبب كثرة تمرد سكانها من البربر بعد أن انتشرت بينهم مبادئ الخوارج الصفرية، فصرفه عنها وولاه على السوس الأقصى، وعهد بولايتها إلى عمر بن عبدالله المرادي الذي

(١) يبدو أن هذا التقسيم حدث بعد أن نجح حبيب بن أبي عبيدة في إخضاع قبائل المغرب الأقصى المتمردة على سلطان الخلافة بعد حملته المظفرة التي سيأتي الحديث.

(٢) السوس الأدنى : كورة كبيرة بالمغرب الأقصى قصبتها مدينة طنجة، ويمتد من وادي ملوية في الشمال الشرقي إلى وادي أم الربيع في الجنوب الغربي . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٨١، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج ص ٧٨ حاشية ٤٤، وانظر خريطة المغرب في ملاحق البحث ملحق رقم ٣ .

انتهج سياسة صارمة، واشتط إلى حد كبير في معاملته للبربر، وكانت سياسته سببًا من أسباب ثورتهم (١) .

ـ الولاية الثانية السوس الأقصى وقد نقل إليها ابنه إسماعيل وعهد إليه بالإشراف عليها (٢) . كما ولَّى على بعض المدن الكبرى ولاة يديرون شئونها، فولى على مدينة تونس المستنير بن الحارث الحريثي بعد أن أخرجه من حبسه(٣)، وعلى مدينة تلمسان موسى بن أبي خالد . أحد موالي معاوية بن حديج . الذي اتهم بالنزعة الخارجية فقطعت أطرافه عقابًا له(٤)، واحتفظ لنفسه بالإشراف على إفريقية (٥)، وأقام في القيروان حاضرة الولاية ؛ لكي يكون في مكان قريب من المشرق يستطيع أن يدير منه شئون ولايته، أما الأندلس فقد وولى عليها مولاه وولي نعمته عقبة بن الحجاج السلولي، وكان ابن الحبحاب يعترف بفضل أبيه الحجاج السلولي عليه، فكان يعرف له هذا ويقدره ويرفع

(١) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقة والمغرب ص ٦٦، ٦٧، ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ١٧٦، ج٤ ص ٢٤١ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٨٢، ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ١٥٦ .

(٣) ابن عبدالحكم : المصدر السابق ص ٢٩٣، ابن الأثير: الكامل ج٤ ص٤٠٤، ابن الكرديوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ج ٢ ص ١١٤٦.

(٤) ابن عبدالحكم : المصدر السابق ص٢٩٤ .

(٥) إفريقية : أطلق المسلمون لفظ إفريقية في بداية فتوحهم للشمال الإفريقي على كل ما يلي طرابلس غربًا حتى ساحل المحيط الأطلسي، ثم اقتصر إطلاقه بعد الفتح على الأجزاء الشرقية من بلاد المغرب والتي تمتد من طرابلس شرقا حتى مدينة بجاية أو جزائر بني مزغنة في الغرب، ويسمى هذا الإقليم بالغرب الأدنى وكانت حاضرته مدينة القيروان، وهو يشمل حاليا دولة تونس والأجزاء الشرقية من دولة الجزائر . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٨، ٢٢٩، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة الأولى، تونس ١٢٨٦هـ، ص١٥، ١٦، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢، ٣ .

مكانته، ويقبل رأيه وشفاعته في أمور كثيرة، وقد خيَّره في ولاية ما شاء من سلطانه، فاختار الأندلس لأنها أرض جهاد، وهو يحب الجهاد فولاه عليها [١]، وقد استقرت أحوال الأندلس خلال فترة ولايته (١١٦ . ١٢٣هـ / ٧٣٤ . ٧٤٠ م) فقد كان محمود السيرة رفيقًا بالناس عادلا، مجاهدًا مظفرًا ذا بأس ونكاية في العدو، قام خلال سنوات إمارته بأكثر من سبع حملات فيما وراء جبال البرتات، وفتح عدة مدائن منها أربونة وجليقية وبنبلونة، واجتهد في نشر الإسلام فكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام، ويقبح له ما سواه، فأسلم على يديه ألف من الأسرى [٢] .

- جهوده العسكرية :

قام ابن الحبحاب أثناء ولايته بجهود عسكرية وحملات مظفرة في داخل بلاد المغرب وفي خارجها، وقد تمثلت جهوده الداخلية في الحملة التي أرسلها إلى السوس الأقصى والسودان الغربي[٣]، أما جهوده الخارجية فتتمثل في الحملات البحرية التي أرسلها إلى جزر البحر المتوسط الغربية، وفيما يلي عرض لهذا النشاط العسكري:

(١) مجهول: أخبار مجموعة ص ٣٢، ٣٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٣٧.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٣٨، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٥٢، المقري : نفح الطيب ج١ ص ٢٣٦، ج ٣ ص ١٩.

(٣) السودان الغربي: هو الإقليم الذي يشمل المناطق الوقعة جنوب الصحراء الكبرى، والممتدة من المحيط الأطلسي غربًا إلى بحيرة تشاد شرقًا، والتي اصطلح كتاب أوربا في العصور الوسطى على تسميتها باسم بلاد نيجرتيا نسبة إلى نهر النيجر، وهذه المناطق تشمل ما يعرف اليوم بحوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط . إبراهيم علي طرخان : إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، ص ٧ .

أولا ـ حملة السوس الأقصى والسودان الغربي :

بعد أن انتهى ابن الحبحاب من ترتيب أمور المغرب الإدارية، بادر على الفور بإرسال حملة عسكرية كبيرة إلى بلاد السوس الأقصى والسودان الغربي في سنة ١١٦هـ / ٧٣٤ م، أسند قيادتها إلى أعظم قواده حبيب بن أبي عبيدة الفهري[١]، ولم تذكر المصادر أسبابًا لإرسال هذه الحملة، ولكن من المرجح أنها كانت حملة تأديبية استهدفت إخماد تحركات الخوارج الصفرية التي كانت قد بدأت في النشاط في طنجة وما جاورها، أما عن وصولها إلى السودان الغربي فيرجع إلى أن الخوارج من بربر تلك المناطق اضطروا أمام ضغط قوات حبيب إلى الفرار إلى السوس الأقصى فتعقبهم حتى وصلوا إلى السودان الغربي، أو أنه أراد بتوغله أن يظهر لقبائل المغرب الأقصى المتمردة أن قواته قادرة على التوغل إلى أبعد من مناطق انتشارهم . ومن غير المستبعد أن تكون الحملة استهدفت كما يذكر بعض الباحثين[٢] إخضاع أقاليم المغرب الأقصى التي خرجت على الطاعة بعد مسير والي المغرب عبيدة بن عبدالرحمن السلمي إلى المشرق، وخاصة في منطقة السوس الأقصى.

---

(١) هو حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، شارك في فتح الأندلس وأقام بها مع من أقام من أبناء القبائل العربية، وخرج منها برأس عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى سليمان بن عبد الملك، ثم رجع إلى إفريقية وأقام بها، ولما ولي ابن الحبحاب اتصل به وحظي عنده، وأصبح من أعظم قواده العسكريين، فوجهه في حملة إلى بلاد السوس الأقصى، كما ولاه قيادة بعض الحملات البحرية التي كانت تغزو صقلية وسَرْدينيَا، ولما اندلعت ثورة البربر بقيادة ميسرة كان غائبًا في حملة صقلية فاستدعاه للمشاركة في قمعها، مات شهيدًا على ضفاف نهر سبو في معركة بقدورة وهويقاتل الخوارج مع كلثوم بن عياض القشيري سنة ١٢٣هـ . ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس، تحقيق / بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م، ص ٢٨٨، الضبي : بغية الملتس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧ م، ص ٢٧٤.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب ص٢١٢، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج١ ص٢٨٩.

أما ما يدعيه بعض المؤرخين المحدثين[١] من أن ابن الحبحاب كان يهدف من وراء إرسال هذه الحملة إلى الحصول على الأموال وسبايا البربر، وإرسالها إلي الخليفة هشام بن عبدالملك ليرضى عنه، فهو ادعاء متهافت بعيد عن الحقيقة عار عن الصحة، فهدف الحملة كان تأديبيًا بحتًا الغرض منه إخماد تحركات الخوارج التي كانت قد بدأت في النشاط في طنجة وما جاورها، وإخضاع المناطق التي لم تكن قد خضعت تمامًا لسلطان الخلافة في منطقة السوس الأقصى .

وأيا كان الأمر فيما يتعلق بأسبابها فقد توغلت هذه الحملة في المغرب الأقصى حتى وصلت إلى السوس الأقصى، ثم واصلت تقدمها جنوبًا حتى بلغت السودان الغربي، وقد حالف النجاح حبيبًا أثناء حملته هذه فـ " لم يقابله أحد إلا ظهر عليه، ولم يدع في المغرب قبيلة إلا أداخها فملئوا منه رعبًا وخوفًا " وحقق الأهداف التي خرج من أجلها، فأخضع قبائل البربر التي شقت عصا الطاعة في تلك المناطق، كما أخضع قبائل مسوفة [٢] وتقدم في غزواته حتى وصل إلى السودان الغربي، ثم عاد مثقلا بالغنائم والسبي [٣] .

---

(١) محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٢١٦، ٢١٧، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة ص٦٦، محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ص٣٣، فاطمة عبدالقادر رضوان :المغرب في عصر الولاة الأمويين (٩٠ . ١٣٢هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م، ص٧٥.

(٢) مسوفة: قبيل عظيم من صنهاجة الجنوب، كان موطنها جنوب السوس الأقصى في وادي درعة فيما بين سجلماسة وأودغست . ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٨، ٩٩، البكري: المسالك والممالك ج ٢ ص ٨٣٧ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣، البلاذري : فتوح البلدان ق٣ ص ٣٢٤، الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٦، ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤١٦، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨١ .

ومن الجدير بالذكر أنه رغم النجاح الذي حققته هذه الحملة، لم يرسل ابن الحبحاب خلال فترة ولايته حملات أخرى لإتمام فتح السودان الغربي، ولعل في هذا التوقف ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الهدف من إرسال هذه الحملة كان تأديبيًا بحتًا، ولم يكن التهافت على الأموال والسبي كما يدعى البعض، فلو كان هدفه الحصول على الغنائم والسبي لواصل إرسال الحملات إلى هذه المناطق .

ثانيا ـ النشاط البحري لولاية المغرب في عهد عبيدالله بن الحبحاب :

استقامت أمور المغرب بعد حملة حبيب بن أبي عبيدة على السوس الأقصى، وسادها الهدوء والاستقرار، فاستغل ابن الحبحاب هذا الهدوء في تحقيق طموحاته ومشاريعه التوسعية فاتجه بنشاطه العسكري إلى خارج المغرب متبعًا نهج سلفه من ولاة المغرب في إرسال حملات بحرية دورية إلى جزر حوض البحر المتوسط الغربي مثل صقلية [١] وسَرْدينيَا [٢] وغيرهما من الجزر الخاضعة للبيزنطيين، وقد تميزت حملاته البحرية عمَّا سبقها بأنها كانت أكثر ترتيبًا وتنظيمًا وبإمكانيات أعظم [٣] .

وقد مهد ابن الحبحاب لنشاطه البحري بالاهتمام بالبحرية المغربية اهتمامًا كبيرًا، فنظم الأسطول وزاد في عدد سفنه حتى أصبح قوة بحرية ضاربة في البحر المتوسط، واهتم بدار صناعة السفن التي أنشأها حسان بن

---

(١) صقلية : جزيرة في الحوض الأوسط للبحر المتوسط، وهي من أكبر جزره، تقع في الجنوب من إيطاليا، ولا يفصلها عنها سوى مضيق صغير يبلغ عرضه ٣ كم . الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق / إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤ م، ص ٣٦٦ . ٣٦٧ .

(٢) سَرْدينيَا أوسَرْدانية : جزيرة في الحوض الأوسط للبحر المتوسط، تقع في الشمال الغربي من جزيرة صقلية، كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلا وعرضها مائة وثمانون ميلا . الحميري : المصدر السابق ص ٣١٤، ٣١٥ .

(٣) سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي ج١ ص ٢٨٦ .

النعمان (٧٣ . ٨٥ هـ /٦٩٣ . ٧٠٤ م) بمدينة تونس فجددها ووسعها وزاد في عمارتها وتحصينها [١]، ويبدو أن أعماله وتجديداته بلغت حدًا من السعة والإتقان جعل بعض المؤرخين [٢] ينسب إليه أنه هو الذي أنشأها، كما وجَّه عنايةً كبيرةً إلى مدينة تونس قاعدة الأسطول البحري، فأخرج المستنير بن الحارث القائد البحري من حبسه وولاه عليها [٣]، ولا يستبعد أن يكون عهد إليه بمهمة الإشراف على الأسطول ودار صناعة السفن بها [٤] . وقد بدأ ابن الحبحاب هذا النشاط البحري فور انتهائه من هذه الترتيبات، وفيما يلي عرض لهذا النشاط :

- الحملة البحرية الأولى :

خرجت في سنة١١٦ هـ/٧٣٥ م، وكانت وجهتها جزيرة صقلية، قادها عثمان بن أبي عبيدة الفهري، ولم تفصِّل المصادر التاريخية الحديث عن هذه الحملة وما حدث فيها، وإنما اكتفت بالإشارة إلى نزول رجالها في بعض نواحي جزيرة صقلية، وعودتهم بما أصابوا من غنائم، ولكن في طريق عودتهم اعترضتهم بعض قطع الأسطول البيزنطي، فدار قتال بين الجانبين انهزمت فيه سفن الأسطول البيزنطي وولت الأدبار، ورغم هذا لقي رجال الحملة من جراء هذا القتال عنتا شديدًا، فأصيب بعضهم وأسر الروم منهم عددًا كان منهم

(١) البكري : المسالك والممالك ج٢ ص ٦٩٥، ٦٩٦، المالكي : رياض النفوس ج١ ص ٥٧، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ١٢.

(٢) البكري : المسالك والممالك ج٢ ص ٦٩٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨١، مجهول : الاستبصار في غرائب الأمصار ص ١٢٠، النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص ٣١، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ١١٨ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣، ابن الأثير: الكامل ج٤ ص ٤٠٤، ابن الكرديوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ج٢ ص ١١٤٦.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج١ ص ٢٨٦ .

ابني قائد الحملة عمرو وسليمان، ثم عادت سفن المسلمين سالمة بما غنمته من البيزنطيين [١].

- الحملة البحرية الثانية :

خرجت السفن الحربية الإسلامية من تونس في سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥م، تحت قيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري متجهة إلى جزيرة سردينيا لغزوها، وقد حالف التوفيق قائد هذه الحملة حيث استطاع أن يفاجئ أهالي بعض قرى الجزيرة وألحق بهم هزيمةً ساحقةً، ثم عاد محملا بالغنائم وكثيرٍ من السبي [٢].

- الحملة البحرية الثالثة :

كانت في سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م، وكانت وجهتها جزيرة صقلية، وأسندت قيادتها إلى قثم بن عوانة الكلبي اليمني، الذي سار بقواته من تونس حتى وصل إلى سواحل جزيرة صقلية، ونزل على مدينة (أولية) وحاصرها وتمكن من دخولها، ولكن تمكنت قوات الروم من محاصرته، ويبدو أنه رغم حصار الروم له نجح في الوصول إلى اتفاق معهم يضمن له الانسحاب بقواته سالمًا، حيث ذكر خليفة بن خياط [٣] أن الروم " أحاطوا به ثم خلوا عنه " .

- الحملة البحرية الرابعة :

على الرغم من إخفاق قثم في حملته السابقة إلا أن ابن الحبحاب أسند إليه قيادة الحملة التي خرجت في سنة ١١٩ هـ/ ٧٣٧ م لغزو جزيرة سردينيا، فتوجه بقواته إليها ونجح في مهاجمة بعض قلاعها، ولكنه وهو في

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص٣٤٧، الأزدي : تاريخ الموصل ص ٣٧، ٣٨، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١١، ٤١٢، ابن تغري بردي : النجوم ج١ ص ٢٦٦ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٤٨، الأزدي : تاريخ الموصل ص٣٨، ابن الأثير: الكامل ج٤ ص٤١٦.

(٣) خليفة بن خياط : المصدر السابق ص ٣٤٩ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ٣٧ ص ٤١٦ .

طريق عودته " غرق في مراكب من المسلمين، وسلم بعضهم " [١] في ظروف غير معروفة، فلم تشر المصادر إلى سبب الغرق، ولكن من غير المستبعد أن يكون ما لحق بالأسطول الإسلامي كان بسبب تعرضه لظروف جوية سيئة تسببت في غرق بعض سفنه، أو بسبب مهاجمة الأسطول البيزنطي له في طريق عودته [٢] .

ـ الحملة البحرية الخامسة :

لم يكن إخفاق قثم بن عوانة في حملته على جزيرة سردانية وغرقه مع بعض جنوده سببًا في توقف النشاط البحري لولاية المغرب لفترة طويلة، فقد استأنف ابن الحبحاب نشاطه البحري بعد سنتين فقط وبشكل أوسع، فأرسل في سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م حملة بحرية كبيرة استهدفت فتح جزيرة صقلية والاستقرار بها، أسند قيادتها إلى حبيب بن أبي عبيدة، وكان بصحبته ابنه الجسور عبدالرحمن بن حبيب، أبحرت القوات الإسلامية من شواطئ تونس متجهة صوب جزيرة صقلية، ولما وصلت الحملة إلى سواحل الجزيرة وضع حبيب خطة استراتيجية تستهدف فتحها وضمها إلى الدولة الإسلامية، فقسم قواته إلى قسمين :

. القسم الأول ضم فرقة من خيرة الفرسان جعل على قيادتها ابنه عبدالرحمن، وأمره بالتوغل في أراضي الجزيرة لفتحها .

. والقسم الثاني ظل معه في مكان نزوله بسواحل صقلية، وكانت مهمته تأمين منطقة نزوله، وحماية خطوط مواصلاته مع ابنه من القطع، وتقديم الدعم العسكري له عند الحاجة إليه .

---

(١) خليفة بن خياط : نفسه، الحميري : الروض المعطار ص٣١٥، ابن تغري بردي : النجوم ج١ص ٢٨٢، ٢٨٣ .

(٢) سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي ج١ ص ٢٨٨ .

توغل عبدالرحمن بن حبيب على رأس قواته في أرض الجزيرة، واستطاع خلال تقدمه تحقيق انتصارات ساحقة على الروم و" ظفر ظفرا لم ير مثله " كما يقول الرقيق (١)، فكان كلما قابله جمع من جموع الروم انتصر عليهم، حتى وصل مدينة سرقوسة (٢) فقاتل من بها من الروم وحاصرهم وشدد عليهم الحصار حتى أرغمهم على الخضوع والاستسلام، ثم صالحهم على دفع الجزية (٣).

بعد أن حقق عبد الرحمن بن حبيب هذه الانتصارات الكبيرة رجع بقواته إلى القاعدة التي استقر بها والده مع بقية الجيش خشية أن يخالفه العدو إليه (٤) . ونتيجة لهذه الانتصارات عقد حبيب العزم والنية على البقاء في صقلية حتى يستكمل فتحها، وقد تيسرت له أسباب هذا الفتح، ولكنه اضطر إلى الانسحاب مع قواته عندما أرسل إليه ابن الحبحاب يطلب منه سرعة العودة إلى إفريقية لمواجهة ثورة البربر التي اندلعت في طنجة (٥) .

عاد حبيب بقواته إلى إفريقية استجابة لطلب ابن الحبحاب وفي نفسه أمل العودة إلى جزيرة صقلية لفتحها، ولكن للأسف حالت الظروف دون تحقيق هذا الأمل، إذ توقف النشاط البحري لولاية المغرب بعد عودته بسبب انشغال ولاة المغرب بإخماد ثورة البربر .

---

(١) تاريخ إفريقية ص ٦٧ .

(٢) سرقوسة : عاصمة جزيرة صقلية، كان بها سرير ملك الروم قديمًا . ياقوت معجم البلدان ٣ / ٢١٤ .

(٣) النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص ١٩٤، ابن خلدون : العبر ج٤ ص ٢٤١، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ٣٩ .

(٤) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق / أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٤ م، ق٣ ص ١٠٩.

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١٦، الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧.

ومن خلال تتبعنا للنشاط البحري لولاية المغرب أثناء ولاية ابن الحبحاب يتبين لنا أن هذا النشاط بدأ فور توليه مهام الولاية، وأنه كان مستمرًا ومتواصلا، فقد كان الحملات تخرج منتظمة بصفة دورية سنويًا، ولم تتوقف إلا في سنتي ١٢٠ هـ، ١٢١ هـ، حيث صرح خليفة بن خياط [١] بأنه لم يكن فيهما غزو، ويبدو أن هذا التوقف كان بسبب الكارثة التي ألمت بحملة قثم بن عوانة في سنة ١١٩هـ/ ٧٢٧م .

كما يتبين لنا أن معظم هذه الحملات كان موجهًا ضد جزيرة صقلية؛ لأنها كانت بمثابة قاعدة كبرى للبيزنطيين في غرب البحر الأبيض المتوسط، ومركزًا لتوجيه حملاتهم البحرية ضد البحرية الإسلامية، كما أن وجودها كان يمثل تهديدًا للنفوذ الإسلامي في بلاد المغرب .

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أنه لم يكن الهدف من هذه الحملات التخريب والدمار لذاته حبًا فيه، أو لمجرد السلب والنهب والحصول على الغنائم كما يدَّعي بعض الباحثين [٢]، وإنما كان الهدف منها إرهاب العدو وإشعاره بقوة المسلمين، وحماية سواحل المغرب من هجمات الروم، كما كانت هذه الحملات أحد أساليب الحرب التي استخدمت في الصراع الإسلامي البيزنطي في مختلف جبهات هذا الصراع، وقد اتبع هذا الأسلوب المسلمون والنصارى على حد سواء .

- أعماله العمرانية :

لم تقتصر جهود ابن الحبحاب أثناء ولايته على بلاد المغرب على الأعمال الإدارية والحربية، بل كان له أيضا إسهاماته البارزة والعظيمة في مجال العمارة والبناء، فقد اهتم بمدينة تونس قاعدة الأسطول البحري في بلاد المغرب، فأكمل ما بدأه الولاة السابقون من أعمال عمرانية فيها، ووجه عنايته

(١) تاريخ خليفة ص ٣٥٠، ٣٥٣ .

(٢) محمود عبدالرازق : الخوارج في بلاد المغرب ص ٣٣.

واهتمامه إلى دار صناعة السفن التي أنشأها حسان بن النعمان الغساني(٧٣ . ٨٥ هـ /٩٦٣ . ٧٠٤ م)، واستعان في إنشائها بعدد من أقباط مصر الذين أرسلهم إليه والي مصر عبدالعزيز بن مروان (٦٥ . ٨٥ هـ / ٦٨٤ . ٧٠٤ م) فأجرى البحر من مرسى رادس إلى دار صناعة السفن الواقع إلى الشرق من تونس، وكلف البربر بإحضار الخشب، وأمر القبط بعمارة المراكب، ثم اعتنى بها من بعده موسى بن نصير أثناء ولايته (٨٥ . ٩٥هـ/٧٠٤ . ٧١٤ م) فجددها وزاد فيها وطهر القناة التي توصلها بالبحر، ثم جاء من بعدهما ابن الحبحاب فجددها وزاد في عمارتها وتحصينها [١]، ويبدو أن أعماله وتجديداته بلغت حدًا من السعة والإتقان جعل بعض المؤرخين [٢] ينسب إليه إنشاءها .

ولم يقتصر اهتمام ابن الحبحاب بمدينة تونس على تجديد دار الصناعة بها، وإنما اهتم أيضًا بمسجدها الجامع، وهو المسجد الذي عرف فيما بعد بـ (جامع الزيتونة)، وقد كان في أول أمره بناءً بسيطًا، فأعاد ابن الحبحاب بناءه ووسعه، وأعلى بنيانه حتى بلغ الغاية في الإتقان والإحكام، ولعل هذا ما دفع بعض المؤرخين[٣] إلى نسبة بنائه إليه، ولكن الراجح أن الذي بناه ووضع قواعده الأولى حسان بن النعمان الغساني عندما اختط مدينة تونس في سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م، حيث جرت عادة المسلمين عند بناء المدن الجديدة أن يكون أول ما يتم تشييده فيها بناء مسجد جامع في وسط المدينة، اقتداءً بما فعله الرسول ﷺ . عندما هاجر إلى المدينة المنورة، فقد كان أول عمل قام به بعد هجرته بناء المسجد النبوي، ولا يمكن

(١) البكري : المسالك والممالك ج ٢ ص ٦٩٥، ٦٩٦، المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق / بشير البكوش، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ج١ ص ٥٧، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ١٢.

(٢) البكري : المسالك والممالك ج٢ ص٦٩٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٨١، مجهول : الاستبصار في غرائب الأمصار ص ١٢٠، النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص٣١، ابن خلدون: العبر ج٤ ص١٤١، القلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ص ١١٨.

(٣) البكري : المسالك والممالك ج٢ ص ٦٩٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٨١، الذهبي : تاريخ الإسلام ج٣ ص ٢٠٤، القلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ص ١١٨ .

أن نتصور أن المسلمين من أهل تونس ظلوا أكثر من ثلاثين سنة من غير مسجد جامع يؤمونه ويصلون فيه، ومن ثم فإن ابن الحبحاب لم يستحدثه بل جدد بنيانه ووسعه وأضاف إليه بعض الزيادات ؛ حتى يتسع للمصلين الذين زادت أعدادهم بعد أن نمت مدينة تونس واتسع عمرانها وزاد عدد سكانها .

وبفضل جهود ابن الحبحاب ازدهرت مدينة تونس ازدهارًا عظيمًا، فنمت واتسع عمرانها، وأقبل الناس على سكناها، وأصبحت في وضع ملائم تماما كي تقوم بواجب حماية الثغور البحرية في الشمال الإفريقي، وتوجيه الحملات إلى جزر البحر المتوسط الغربية [١] .

هذه أهم أعمال ابن الحبحاب العمرانية التي أنجزها خلال فترة ولايته على بلاد المغرب، وكان بإمكانه أن ينجز أعمالا أكبر من ذلك بكثير لو امتدت فترة ولايته لأكثر من هذا، فقد كان رجلا طموحًا نشيطًا لا يكل ولا يمل من العمل، ورغم هذه الجهود التي قام بها ابن الحبحاب، وهذا النشاط الدائب الذي طبع فترة ولايته، فإن صفو الحياة لا يخلو من كدر، فقد شهدت السنة الأخيرة من ولايته ثورة كبيرة قام بها الخوارج من البربر بزعامة ميسرة المدغري رأس الخوارج الصفرية[٢] في سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م، كانت على درجة عظيمة من الخطورة، فقد زلزلت أركان السلطة الأموية في بلاد المغرب، ولطخت تاريخ ابن الحبحاب وجعلته عرضة للقيل والقال، وكانت سببًا في عزله عن ولاية المغرب والأندلس . فما أسباب هذه الثورة ؟ وما أهم أحداثها ؟ وما التداعيات التي ترتبت عليها في بلاد المغرب والأندلس، وفي دمشق مقر الخلافة الأموية ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الصفحات التالية.

❁❁❁❁❁

(١) البكري : المسالك والممالك ج٢ ص ٦٩٦، السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ص ١٦٣.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ص ٨٣، ٨٧ .

المبحث الرابع

ابن الحبحاب وثورة الخوارج

ـ أسباب الثورة :

بادئ ذي بدء، لا بد من التأكيد على حقيقة هامة وهي : أن هذه الثورة كانت ثورة خارجية قام بها الخوارج الصفرية من البربر وغيرهم، وقد جانب الدكتور حسين مؤنس(١) الصواب عندما وصفها بقوله: "لسنا نجد على أي الأحوال من أخبار هذه الثورة الكبيرة دليلا واضحًا على صفرية القائمين بالحركة أو إباضيتهم، والأسلم أن نسميهم خوارج فحسب، خوارج سياسيين لا دينيين " فالبصمة الخارجية للثورة واضحة لا تحتاج إلى بحث طويل كما سيتضح عند حديثنا عن أسبابها وأحداثها وملابساتها، كما نتفق مع ما ذهب إليه الدكتور سعد زغلول عبد الحميد (٢) من أن هذه الثورة لم تكن عفويةً ولا وليدة اللحظة، بل قامت بعد إعداد كبير وتخطيط مسبق، ودعاية واسعة قام بها الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى .

أما عن أسبابها فقد ذكرت المصادر التاريخية أسبابًا مختلفةً مذهبيةً وسياسيةً واقتصاديةً أدَّت إلى اندلاعها من أهمها :

١. اعتناق ثوار البربر مبادئ الخوارج الصفرية :

يأتي هذا السبب على رأس الأسباب، ومما يؤكد هذا أن هناك شبه إجماع بين المؤرخين قدامى ومحدثين(٣) بأن البربر إنما ثاروا بتحريض من دعاة الخوارج على المذهب الصفري .

---

(١) فجر الأندلس ص ٢١٠ . ومما تجدر الإشارة إليه أنه بعد بضع صفحات ناقض نفسه وعدل عن رأيه هذا، وأقر بأن دور الخوارج في تأجيج نار الثورة ظاهر ولا يحتاج إلى طويل بحث . المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٢) تاريخ المغرب العربي ج١ ص ٢٩١ .

(٣) راجع في هذا الصدد ما جاء في المصادر والمراجع التالية : الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ص٦٧، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٢٥٤، مجهول: أخبار=

وترجع بداية ظهور المذهب الخارجي في المغرب إلى أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين [1]، وذلك أنه عندما اشتدت ضربات الدولة الأموية على الخوارج في المشرق لجأوا إلى بلاد المغرب البعيدة عن قبضة الخلافة، فوجدوا فيها الملاذ والمأوى، كما وجدوا فيها تربة خصبة لنشر أفكارهم ومبادئهم الداعية إلى التمرد والعصيان دون خوف من بطش الخلفاء وولاتهم ؛ نظرًا لبعدها عن مركز الخلافة الإسلامية في دمشق من ناحية، وسهولة التأثير على سكانها من البربر من ناحية أخرى، فانبث دعاة الخوارج

=مجموعة ص٢٧، ابن الأثير : الكامل ج٢ ص ٤٨٥، ابن عذارى: البيان المغرب ج١ ص ٨٢، ابن خلدون : العبر ج٤ ص٢٤١، ج٦ ص١٤٤، ١٤٥، ١٥٥، ١٧١، ١٧٢، ٢٧٦، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢٩٣، فجر الأندلس ص ٢٢٣، ٢٢٤، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج١ ص٢٦١، عمر فروخ : العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ص ١٣٨، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٥ حاشية ١، ٦٧ .

(١) كانت البدايات الأولى للمذهب الخارجي الصفري في بلاد المغرب على يد عكرمة مولى عبدالله بن عباس (ت ١٠٥هـ)، الذي جاء مرافقا لسلمة بن سعد الحضرمي الداعية الإباضي في رحلته إلى بلاد المغرب، فتولى عكرمة نشر المذهب الصفري بينما قام سلمة بنشر المذهب الإباضي، وقد اتخذ عكرمة من القيروان مقرا له، وأخذ يدعو إلى مذهبه سرا، واتصل بعدد من رؤساء وأفراد القبائل، فأخذ عنه المذهب ميسرة المطغري، ثم عاد إلى مواطن قبيلته في طنجة فنشره بينهم، وأبو القاسم سمكو بن واسول شيخ مكناسة، وطريف بن شمعون زعيم برغواطة، كما انتشر المذهب الصفري بين قبائل زناته وخاصة في بني يفرن الذين " ضربوا فيه بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه "، وبهذا تغلغلت تعاليم الصفرية بين قبائل البربر في المغرب الأقصى، وصار لهم فيه عدد كبير، وشوكة قوية . الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية ص٦٧، البكري :المسالك والممالك ج٢ ص ٨١٩، ٨٣٧، أبو زكرياء : سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق / إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، ص٤٠، ٤١، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١٤٤، ١٤٥، ١٥٥، ١٥٦.

بين عامة البربر في القرى والبوادي والجبال يدعون إلى مبادئهم الهدامة في صمت وسرية، تحت ستار الإصلاح والمساواة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الإمامة ليست مقصورة على العرب وحدهم بل هي حق لكل مسلم ولو كان عبدًا حبشيًا، ولا شك أن هذه المبادئ تتفق مع عقلية البربر، وما تتسم به من بساطة وفطرية، كما أنهم وجدوا فيها ما يطمحون إليه من مساواتهم بالعرب، ففتحوا للخوارج صدورهم واحتضنوهم (١) . والحقيقة أن الخوارج لم يكونوا مخلصين في دعواهم هذه، وإنما كان هدفهم استغلال سخط البربر على بعض الولاة والعمال بسبب استخدامهم سياسة متشددة في تحقيق حلمهم في تأسيس كيان سياسي لهم، كتعويض عن الفشل الذي لحقهم في المشرق الإسلامي .

ويشير ابن خلدون (٢) إلى كيفية انتشار مذهب الخوارج بين البربر، ودورهم في تحريض البربر على الثورة بقوله : " استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة، ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها، ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق ... وفشت هذه البدعة وعقدها رءوس النفاق من العرب (أي الخوارج)، وجرَّت إليهم الفتنة من البربر ذريعة إلى الانتزاء على الأمر فاختلوا في كل جهة، ودعوا إلى قائدهم طغام البربر تتلون عليهم مذاهب كفرها، ويلبسون الحق بالباطل فيها إلى أن رسخت فيهم عروق من غرائسها . "

وقد أسهم تشدد بعض عمال ابن الحبحاب وولاته في جباية الخراج والجزية وعدم مراعاة بعضهم للعدل . في بعض المناطق . في انخراط الكثيرين من البربر في مذهب الخوارج، وقد استغل دعاة الخوارج هذه المظالم في تحريضهم على الثورة، وتحويل السخط الكامن في قلوبهم إلى عمل ثوري، ولما

(١) ابن خلدون: العبر ج٧ ص ١٦، محمود عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب ص٤٠، ٤١.
(٢) المصدر السابق ج٦ ص ١٤٤ .

كان مذهب الخوارج ينص على وجوب الخروج على الحكام الجائرين [١] فقد وجد البربر فيه مبررًا شرعيًا لثورتهم، ودفعهم هذا إلى خلع طاعة الخلافة والخروج عليها، بعد أن كانوا يرفضون الخروج عليها بسبب ظلم ولاتها، وإلى هذا يشير الطبري [٢] بقوله : " كان أهل إفريقية من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبدالملك، أحسن أمة إسلاما وطاعة ؛ حتى دبَّ إليهم أهل العراق (الخوارج) فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم، شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم، وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء، فقالوا : إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، ولا نحمل ذلك عليهم ؛ فقالوا (أي دعاة الخوارج الذين كانوا يحرضونهم على الثورة) لهم : إنما يعمل هؤلاء بأوامر أولئك . فقالوا (أي أهل المغرب) لهم : لا نقبل ذلك حتى نبورهم (أي نختبرهم) " . ومن ثم فإن الفكر الخارجي الذي اعتنقه البربر هو الباعث الحقيقي للثورة، فلولاه ما تحول هذا السخط إلى ثورة حصدت أرواح آلاف من البشر .

٢. استخدام ابن الحبحاب في بداية ولايته سياسة متشددة وصارمة تجاه البربر في المناطق التي لم تخضع تمامًا لسلطان الخلافة ـ وخاصة في بلاد المغرب الأقصى . حيث افتتح ولايته بإرسال حملة عسكرية في سنة ١١٦هـ /٧٣٤م لتأديب بربر السوس الأقصى، عهد بقيادتها إلى قائده حبيب بن أبي عبيدة، فاستخدم حبيب الشدة أثناء حملته تلك، فأثخن في البربر وقتل عددًا كبيرًا منهم، وأصاب سبيًا عظيمًا [٣]، فكانت هذه الشدة وهذه المعاملة القاسية سببًا من أسباب ثورة البربر، حيث عم الرعب والخوف بين بربر هذه المناطق، ودفعهم هذا إلى الانخراط في دعوة الخوارج، وإلى هذا يشير

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٧٣ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٢٥٤ .

(٣) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٦، ابن عذارى: البيان المغرب ج١ ص ٨١.

ابن خلدون [١] بقوله : " ... ثم انتقض البربر بعد ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائة في ولاية عبيد الله ابن الحبحاب أيام هشام بن عبدالملك، لما أوطأ عساكره بلاد السوس، وأثخن في البربر وسبى وغنم ... وداخل البربر منه رعب، وبلغه أن البربر أحسوا بأنهم فيء للمسلمين فانتقضوا عليه " .

٤. السياسة المالية المتشددة التي استخدمها عمر بن عبدالله المرادي عامل ابن الحبحاب على إقليم طنجة، حيث تذكر المصادر [٢] أن هذا العامل قد اشتط إلى حد كبير في معاملته للبربر من أجل الحصول على الأموال، وأنه لجأ في سبيل تحقيق ذلك إلى " التعدي في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء للمسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يؤمن منهم، ولم يجب إلى الإسلام، فكان فعله الذميم سببًا لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة " فساعد من حيث لا يدري على تأليب البربر وتحفيزهم للثورة .

ولا نستبعد أن يكون عمر بن عبدالله المرادي قد قام في بداية ولايته لمنطقة السوس الأدنى بعملية مسح للأراضي الزراعية وإحصاء للسكان بناءً على توصيات من والي المغرب ابن الحبحاب لتقدير الضريبة على أساسها بشكل عادل، فأثار هذا الإجراء قبائل البربر في هذه المناطق، وكانت قد اعتادت الإفلات من قبضة السلطة، والتهرب من أداء الضرائب المفروضة عليها، فاضطر المرادي إلى استخدام الشدة لإجبارها على أداء ما عليها من التزامات، وربما كانت شدته هذه سببًا في تذمر البربر من أهل طنجة وما جاورها، وفي تزيد المصادر عليه وزعمها أنه أراد أن يخمس البربر الذين دخلوا في الإسلام . أما تخميسه للمسلين من البربر فأمر مستبعد وغير

(١) العبر ج٦ ص ١٤٤ .

(٢) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١٦، النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص ٣١، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨١ .

مقبول، وما ورد في المصادر يفيد بأنه أراد أن يخمس البربر، ولا يشير إلى تنفيذه هذه السياسة، أي أنه لم يتجاوز مرحلة التفكير والعزم إلى مرحلة التنفيذ والعمل بما أراده، فلم يقع منه تخميس للبربر، وربما كان هذا من افتراءات الخوارج التي روجوها ليدفعوا البربر إلى الثورة .

ـ مقدمات الثورة (قصة الوفد) :

ذكر بعض المؤرخين [١] أنه سبق اندلاع الثورة محاولة من البربر استهدفت لفت نظر الخلافة إلى مساوئ عمالها في بلاد المغرب، حتى يكونوا على يقين من أن تلك المساوئ من جانب الولاة، كانت برضا وتأييد الخلفاء، فسار وفد من المغاربة مكونًا من بضعة عشر رجلا كما ذكر الطبري [٢] أو من تسعة وعشرين رجلا كما ذكر ابن الأثير [٣] برئاسة ميسرة المطغري[٤] لعرض شكواهم ومطالبهم على الخليفة هشام بن عبدالملك، فطال مقامهم بباب الخليفة دون أن يتمكنوا من مقابلته، فأتوا الأبرش الكلبي[٥] وزيره فقالوا له : "

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٢٥٤، ٢٥٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٢ ص٤٨٥، ٤٨٦ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٢٥٤ .

(٣) الكامل في التاريخ ج٢ ص ٤٨٥ .

(٤) ميسرة : هو زعيم قبيلة مطغرة البربرية البترية التي كانت تقيم في إقليم طنجة بالمغرب الأقصى، وتنعته المصادر بالحقير، أو الخفير، أو الفقير، وربما كان هذا من نسج خصومه تحقيرًا لشأنه، كما لقب بميسرة السقاء حيث كان يبيع الماء بسوق القيروان، كان من رواد المجالس العلمية بالقيروان فاعتنق مذهب الخوارج الصفرية على يد عكرمة مولى عبدالله بن عباس، ثم عاد إلى مواطن قبيلته مطغرة في إقليم طنجة فنشره بينهم . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٥٣، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٣، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٩، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١٥٥، ١٥٦، محمود عبدالرازق : الخوارج في بلاد المغرب ص ٤٧، ٦٢، ٦٣.

(٥) الأبرش : هو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الأبرش الكلبي، ويكنى أبا مجاشع، كاتب هشام بن عبدالملك . الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٥٩.

أَبلغ أَمير الْمؤمنين أَن أَميرنا يغزو بنا وبجنده، فإِذا أَصاب نَفَلَهُم دُونَنَا وقال: هم أَحقُّ بِهِ ؛ فقلنا: هو أَخلصُ لجهادنا، لأَنَّا لا نأْخذُ منه شيئًا، إِنْ كان لنا فهم منه في حلٍّ، وإِن لم يكن لنا لم نُرِده، وقالوا: إِذا حاصرنا مدينةً قَال: تَقَدَّمُوا وأَخَّرَ جُنْدَهُ، فَقُلْنَا: تَقَدَّمُوا، فإِنَّه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إِخْوانه، فوقيناهم بأَنفُسنا وكفيناهم . ثم إِنهم عمدوا إِلى ماشيتنا، فجعلوا يَبْقُرُونهَا على السِّخَالِ يَطلُبون الفراء البِيضَ لأَمير الْمُؤْمنين، فيقتلون أَلف شاة في جِلْدٍ، فقلنا: ما أَيسر هذا لأمير المؤمنين ! فاحتملنا ذلك، وخليناهم وذلك . ثم إِنهم سامونا أَن يأْخذوا كلَّ جميلةٍ من بَنَاتِنَا فقلنا: لم نجد هذا في كتابٍ ولا سنةٍ، ونحن مسلمون، فأَحببنا أَن نعلم : أَعن رأْي أَمير المؤمنين ذلك أَمْ لا ؟ قال : نفعل، فلمَّا طال عليهم ونفدت نفقاتهم، كتبوا أَسماءهم في رقاعٍ، ورفعوها إِلى الوزراء، وقالوا: هذه أَسْماؤُنا وأَنسابنا، فإِن سأَلكم أَمير المؤْمنين عنَّا فأَخبروه ... "

وإِذا دققنا النظر في ما جاء في هذه الرواية على لسان زعماء وفد البربر نجد أن جوهر شكواهم يكمن فيما يلي :

١ . أن والي المغرب عندما يغزو بالبربر وبجنده من العرب، وينتصر ويحوز الغنائم، يعطى جنده من العرب الغنائم، ويحرمهم نصيبهم رغم حسن بلائهم، وأنه إِذا حاصر مدينة جعلهم (أي البربر) في المقدمة، ليكون القتل في صفوفهم، وأخرَّ جنوده من العرب حرصًا على سلامتهم .

٢ . اعتداء والي المغرب وعماله على ماشيتهم ببقر بطونها بحثًا عن السخال ذات الفراء العسلي التي شغف بها الخلفاء الأمويون .

٣ . تعدي والي المغرب وعماله على البربر بأخذ الجميلات من بناتهم وإِرسالهن إِلى مقر الخلافة في الشام . وفي نهاية الرسالة ذكر أعضاء الوفد أنهم أرادوا من تقديم شكواهم هذه أن يتبينوا وجهة نظر الخلافة، ومدى مسئوليتها عن انحراف سياسة عمالها في المغرب .

وقد أكد بعض المؤرخين المحدثين [١] قصة سفر الوفد البربري الذي تزعمه ميسرة إلى دمشق لمقابلة الخليفة، ويرى الدكتور حسين مؤنس [٢] أن سفر الوفد ليس مؤكدًا، وأن زعماء البربر قد حاولوا بسط شكواهم أمام الخليفة قبل أن يلجأوا إلى الثورة، غير أنه لم يذكر الطريقة التي حاول بها أعضاء الوفد بسط شكواهم، ويرى الباحث أن قصة سفر الوفد إلى بلاد الشام قصة مختلقة وغير حقيقية لعدة أسباب منها :

أولا . هذه الرواية التي وردت بها قصة الوفد رواها الطبري عن السَّرِيّ عن شعيب عن سيف بن عمر، فأما السَّرِيّ : فهو السَّرِيّ بن يحي بن السَّرِيّ التميمي الكوفي [٣] (ت ٢٧٤ هـ / ٨٨٧م)، وثقه علماء الحديث، قال عنه ابن أبي حاتم [٤] :" لم يُقض لنا السماع منه، وكتب إلينا بشيء من حديثه، وكان صدوقا "، وقد أكثر الطبري من الرواية عنه في تاريخه . وأما شعيب : فهو شعيب بن إبراهيم التميمي الكوفي، تلميذ سيف وراوية كتبه، قال عنه ابن عدي [٥](ت٣٦٥هـ): " له أحاديث وأخبار، وهو

(١) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ج١ ص٢٩٠، ٢٩٤، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير ج٢ ص ٢٤٢، محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ص ٣٧، ٣٨، لقبال موسى : المغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١م، ص ١٥٧.

(٢) ثورات البربر في المغرب والأندلس بين سنتي ١٠٢ . ١٣٦ هـ / ٧٢١ . ٧٥٣ م، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد العاشر، مايو ١٩٤٨ م، ج ١ ص ١٥٦، فجر الأندلس ص ٢١١ حاشية ١ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ج ٦ ص ٥٤٧، ٥٤٨ .

(٤) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م، ج ٢ ق ١ ص ٢٨٥.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق / عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، د. ت، ج ٥ ص ٧، ابن حجر: لسان الميزان، تحقيق/ عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت . لبنان ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م، ج٤ ص ٢٤٧.

ليس بذلك المعروف، ومقدار ما يروي من الأحاديث والأخبار ليست بالكثيرة، وفيه بعض النكرة، لأن في أخباره وأحاديثه ما فيه تحامل على السلف "، وقال عنه الذهبي [١] : " راوية كتب سيف ؛ فيه جهالة ". وأما شيخه سيف بن عمر التميمي الكوفي (ت نحو ١٨٠هـ /٧٩٦ م) فمتهم بالضعف والوضع والكذب، وكل من تكلم فيه من أهل الحديث أجمعوا على تضعيفه في الحديث، وعباراتهم متفاوتة بين اتهامه بالضعف المطلق، وبين اتهامه بالكذب والوضع، قال عنه يحيى بن معين(ت ٢٣٣هـ) : " ضعيف الحديث، فلس خير منه " [٢]، وقال أبوداود (ت ٢٧٧هـ) : " ليس بشيء " [٣]، وقال ابن عدي[٤] : " بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق "، وقد ضعفه يعقوب بن سفيان الفسوي [٥] (ت٢٧٧ /٨٩٠ م) في الحديث والتاريخ بقوله : " حديثه وروايته ليس بشيء "، وقال عنه الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م) : " متروك، اتهم بالزندقة،

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق / علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ج٣ ص ٣٧٧ .

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل مجلد ٢ ق ١ ص ٢٧٨، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٥٣، ابن حجر : تهذيب التهذيب، تحقيق / إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، د . ت، ج ٢ ص ١٤٤ .

(٣) الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص٣٥٣، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٤ .

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال ج ٤ ص ٥٠٨ .

(٥) المعرفة والتاريخ، تحقيق/ أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٤١٠ هـ، ج٣ ص ٥٨.

وهو في الرواية ساقط " [١] وما قاله سفيان والحاكم تضعيف ظاهر لمرويات سيف التاريخية، وما ورد من وصف الذهبي [٢] له بأنه " كان إخباريًا عارفًا "، لا يدل على توثيقه له في رواياته التاريخية، فالذهبي[٣] نفسه قد ضعفه ووصفه بقوله : " هو كالواقدي يروي عن هشام بن عروة ... وخلق كثير من المجهولين "، وأمَّا ما قاله ابن حجر[٤] عنه : من أنه " ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ "، لا يدل على توثيقه في أخباره التاريخية كلها، وإنما مراده منها أنه من كبار المؤرخين من حيث جمع المادة التاريخية والاهتمام بها وكتابتها، ومن ثم فالرواية بهذه الحالة ضعيفة من حيث السند لا يصحح الاعتماد عليها والاحتجاج بها .

أما من ناحية المتن فما جاء في الرواية من أخبار يسوده الاضطراب وبعض الأخطاء التاريخية، الأمر الذي يرجح ردها وعدم قبولها، فقد ذكر الطبري قصة ذهاب الوفد البربري عرضًا في غير سياقها الزمني عند حديثه عن حملة عبدالله بن سعد بن أبي سرح على إفريقية في سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ م، وبين الحادثتين فارق زمني بعيد يزيد على التسعين سنة، كما جاء في الرواية الزعم بأن عبدالله بن سعد فتح إفريقية سهلها وجبلها، وأن أهلها قد اجتمعوا على الإسلام وحسنت طاعتهم، والحقيقة أن حملة عبدالله سعد كانت حملة محدودة حقق فيها الانتصار على جرجير قائد قوات الروم في معركة سبيطلة وفتح بعض المدن، ثم عقد صلحًا مع أهل إفريقية عاد بعده إلى مصر، دون أن يترك عليها واليًا من قبله، ودون أن

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٤ .
(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٣ ص ٣٥٣ .
(٣) الذهبي : المصدر السابق نفسه .
(٤) تقريب التهذيب، تحقيق / أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الطبعة الأولى، دار العاصمة للنشر والتوزيع، د. ت، ص ٤٢٨ .

يترك حاميةً عربيةً [١]، وبعد عودته انتقض البربر وعادت البلاد إلى ما كانت عليه [٢] . كما أن الرواية أغفلت الإشارة إلى انتقاض البربر وثوراتهم المتعددة منذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ومن الأخطاء التاريخية التي تضمنتها الرواية الزعم بأن بلاد الأندلس قد فتحت في عهد عثمان بن عفان . ﷺ . وأنه أرسل جيشين لفتحها سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م بقيادة عبدالله بن نافع بن عبدالقيس أخو عقبة بن نافع، وعبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين [٣]، وهذا الزعم لم يرد في المصادر التاريخية الأخرى، ومن الثابت تاريخيًا أن فتح الأندلس لم يبدأ إلا في سنة ٩٢ هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ . ٩٦هـ /٧٠٥ . ٧١٤ م) .

ثانيا . هذا الوفد المزعوم كان أعضاؤه من الخوارج الصفرية، ورئيسه ميسرة من دعاة هذا المذهب، ولم تجر عادة الخوارج بمشاورة الخلفاء قبل القيام بثوراتهم، لأنهم يعدونهم أئمة جور تجب الثورة عليهم (٤) .

ثالثا . هذه القصة المختلقة لم يذكرها من المؤرخين الأوائل . فيما أعلم . سوى الطبري (ت٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ونقلها عنه ابن الأثير (ت٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) ولم يذكرها أحد من المؤرخين المتقدمين على الطبري أو المتأخرين عنه، يستوي في هذا المشارقة والمغاربة، فلم يذكرها خليفة ابن خياط (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) في تاريخه، ولا ابن عبدالحكم (ت ٢٥٧

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٤٦، ٢٤٧، البلاذري : فتوح البلدان، ق ٣ ص ٣١٨، ٣١٩ .

(٢) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص ١٠٦، ١٠٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٢٥٣، ابن الأثير : الكامل ج٢ص ٤٨٦ .

(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٧٣، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١٤٤، ١٤٥، ١٥٥، ١٥٦، ٢٨٢، حمدي شاهين :الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م ص ٣٦٥.

هـ / ٨٧١ م) في كتابه (فتوح مصر والمغرب) وهو من المهتمين بأخبار المغرب وفتوحه، وقد أسهب في الحديث عن هذه الثورة، كما لم يذكرها البلاذري (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م) في كتابه (فتوح البلدان) وقد تحدث عن فتوح المغرب، وأشار إلى ثورات الخوارج في المغرب الأقصى، كما لم يذكرها الرقيق القيرواني (ت بعد سنة ٤١٨ هـ/ ١٠٢٧م) في كتابه (تاريخ إفريقية والمغرب) وابن عذارى (ت بعد ٧١٢ هـ /١٣٢٠م) في كتابه (البيان المغرب)، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م) في كتابه (العبر)، ولا يمكن تبرير تركهم لذكرها بالسهو والنسيان، فذهاب الوفد إلي مقر الخلافة في دمشق لمقابلة الخليفة حدث هام لا يمكن تجاهله أو إهماله .

رابعا . الطبري وابن الأثير لم يذكرا لنا من أسماء أعضاء الوفد سوى اسم ميسرة فقط، مع أنهما ذكرا أن أعضاءه كانوا من زعماء البربر، وأنهم قد سجَّلوا أسماءهم وأنسابهم في رقاع تركوها عند الأبرش كاتب هشام ابن عبدالملك [١] .

ثم تعالوا بنا نناقش ما جاء في هذه الرواية من أكاذيب مختلقة ودعاوى ملفقة :

١ـ ما جاء في الرواية بشأن حرمان البربر من الغنائم مع حسن بلائهم، وتقديم والي إفريقية لهم في المعارك وتأخيره للعرب، شيء غريب لم تذكره المصادر الأخرى، كما لم يرد . حسب علم الباحث . في المصادر التي أرخت لبلاد المغرب على كثرتها أية إشارة تذكر أن قائدًا أو واليًا من ولاة المغرب حرم البربر نصيبهم في الغنائم، أو كان يؤخر جنوده في الحروب ويقدم البربر، إلا في أكاذيب هذه الشكوى، فقد مُنِحَ البربر منذ الفتح الإسلامي منزلةً

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٢٥٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٨٦ .

مساويةً للعرب بمجرد اعتناقهم الإسلام وانخراطهم في الجيوش العربية، فتمت المساواة بين الفريقين في الحقوق والواجبات، وفي الاشتراك في الحرب واقتسام الغنائم، فعل هذا حسان بن النعمان (٧٣ . ٨٥ هـ /٦٩٣ . ٧٠٤ م) الذي منح البربر الذين اعتنقوا الإسلام كل المكاسب المادية والمعنوية التي يتمتع بها المسلمون من العرب، فوزع عليهم الأراضي، وأشركهم في الجيش الفاتح، وأسند إليهم قيادة قسم منه، وفرض لهم الأعطيات، وقسم الأرض والفيء بينهم [١]، وسار على نهجه موسى بن نصير (٨٥ . ٩٥هـ/٧٠٤ . ٧١٤ م) الذي أسند إليهم بعض الأعمال وأشركهم مع العرب الفاتحين في إدارة البلاد، وجند أعدادًا كبيرةً منهم واعتمد عليهم في فتح الأندلس، بل وأسند قيادة الجيش الفاتح إلى أحد رجال البربر الأفذاذ وهو طارق بن زياد، ومما يؤكد هذه المساواة أن المسلمين ميزوا البربر عن غيرهم من سكان بلاد المغرب فلم يطلقوا على من أسلم منهم لفظ (مولى) وإنما كانوا يسمونهم باسمهم الأصلي (البربر) في الوقت الذي أطلقوا فيه لفظ (مولى) على المسلمين من الروم والأفارقة [٢]، ولم يعتبروهم كالبربر مساوين لهم في الحقوق والواجبات [٣] .

---

(١) المالكي: رياض النفوس ج١ ص ٥٦، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢٧٤ . ٢٧٨ .

(٢) الأفارقة أو الأفارق: هم خليط من المستعمرين اللاتين، وبقايا الشعب القرطاجني القديم، ومزارعي البيزنطيين وصنَّاعهم، ونفر من البربر المتحضرين الذين اختلطوا بالروم ودخلوا في خدمتهم، وكانوا يسكنون النواحي الساحلية المحيطة بالمدن البيزنطية . حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٥، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج ١ ص ١١٢، ١١٣ .

(٣) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٣م، ج ١ ص ١٥٩، ١٦٠، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ص ٢٧٥ . ٢٧٧ .

أمَّا ما تدعيه الرواية من تقديم ولاة المغرب للبربر أثناء الحروب وتأخير العرب، فهو عمل ـ إن كان قد وقع ـ يدل على اتصاف العرب المسلمين بالجبن والخور والحرص على الحياة الدنيا، وهي صفات تتنافى مع ما اتصفوا به من الشجاعة والإقدام والتضحية والفداء، فهم قد فتحوا المشارق والمغارب، وقوضوا عروش كسرى وقيصر، ودانت لهم بلاد البربر نفسها [١] .

٢. ما تنسبه الرواية إلى ابن الحبحاب وعماله من بقر بطون ماشية البربر بحثًا عن السخال ذات الفراء العسلي اللون لشغف الخلفاء الأمويين بها، وتخيُّرهم للجميلات من بنات البربر وإرسالهن إلى دار الخلافة، وقد تردد هذا مع اختلافاتٍ طفيفةٍ زيادةً ونقصانًا عند ابن عذارى [٢] وابن خلدون [٣] ويبدو أن كلاهما قد اعتمد على ما جاء في رواية الطبري، ثم تلقف ما جاء في هذه المصادر بعض الباحثين المحدثين [٤] واستغلوه في تشويه تاريخ الخلفاء الأمويين والانتقاص منهم .

وما ذكرته الرواية من شغف خلفاء بني أمية بفراء سخال ماشية البربر حتى وصل بهم الأمر إلى بقر بطون الحوامل منها بحثًا عن الفراء ذات اللون العسلي، أمر مستغرب وبعيد عن الحقيقة ؛ لأنه عمل لا يقره الإسلام ولا الشريعة الإسلامية، وينفر منه صاحب العقل السليم ؛ لأن فيه إهلاكًا للثروة الحيوانية التي يعتمد عليها البربر في حياتهم، كما أن هذا التصرف الأهوج لم تذكره المصادر فيما يتعلق بباقي أقطار الخلافة الأموية، فلماذا اقتصر شغف خلفاء بني أمية على فراء سخال ماشية البربر دون غيرها ؟

---

(١) حمدي شاهين : الدولة الأموية المفترى عليها ص ٣٦٥ .

(٢) البيان المغرب ج١ ص ٨٢ .

(٣) العبر ج٦ ص ١٥٦ .

(٤) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص ٢١٣، محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج٢ ص ٢٣٠،٢٣١، دوزي : تاريخ مسلمي أسبانيا ج١ ص ١٤٤، لقبال موسى : المغرب الإسلامي ص ١٥٧.

وهل لها ميزة على غيرها من فراء سخال الماشية الأخرى ؟ ولماذا الفراء العسلية اللون أو (البيضاء اللون) دون غيرها ؟ لم تذكر لنا المصادر شيئًا بخصوص هذا الأمر، ومثل هذا السخف والكذب تصدى له ورد عليه صاحب كتاب (أخبار مجموعة) [١] فقال : " وقد يقول من يطعن على الأئمة : إنهم إنما خرجوا ضيقًا من سير عمالهم، وإن الخليفة وولده يكتبون إلى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية، فتذبح مائة شاة، فربما لم يوجد منها جلد واحد، وهو قول أهل البغض للأئمة (يقصد الخوارج) فما بال التحكيم فشا فيهم، ورفع المصحف، وحلق الرءوس، اقتداء بالأزارقة وأهل النهروان " .

أما ما جاء فيها بشأن تخير الجميلات من بنات البربر وإرسالهن إلى مقر الخلافة تلبية لرغبة الخليفة هشام، فأمر سخيف وكذب صراح يجافي الحقيقة، فقد كان هشام من خيرة خلفاء بني أمية، ولم يكن رجل شهوة ولهو وطرب حتى يتهم بأنه كان يكتب إلى ولاته في المغرب ليرسلوا له الجميلات من سبايا البربر كما تدعي هذه الرواية، ولم يطعن أحد من المؤرخين في دينه ولا خلقه، ولم يرمه أحد منهم بشيء من هذا القبيل، بل أطبقوا على وصفه بأنه كان حليمًا عفيفًا [٢] .

٣. أمَّا ما تدَّعيه الرواية من أنه حيل بين أعضاء الوفد وبين رؤية الخليفة، وقد تلقفه بعض المؤرخين المحدثين [٣] وقبلوه على أنه حقيقة لا تقبل المناقشة، ولم يكتفوا بهذا بل أطلقوا لأقلامهم العنان فاتهموا هشام بن عبدالملك بأنه رفض السماح لوفد البربر بمقابلته، وأنه فعل هذا ترضيةً لابن الحبحاب،

(١) مجهول : ص ٣٧ .
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص ٢٠٥، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤٦٦، ابن الكرديوس : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ج٢ ص ١١٤٠.
(٣) محمود عبدالرازق : الخوارج في بلاد المغرب ص ٣٧، ٣٨، لقبال موسى : المغرب الإسلامي ص ١٥٧، محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج٢ ص ٢٤٢ .

وتغطيةً لأعماله، وطمعًا في ألطافه الكثيرة، وأنه بسبب جشعه في الحصول على الأموال هو الذي يكره العمال على امتصاص دم الرعايا .فهو ادعاء كاذب بعيد عن الحقيقة عار عن الصحة، إذ كيف يمكن تصديق رفض الخليفة هشام مقابلة هذا الوفد الذي جاء من بلاد بعيدة كالمغرب في مثل هذا الأمر الخطير الذي لا يحتمل التأجيل ؟ وهل غاب عنه ما يمكن أن يترتب على هذا التصرف من أخطار قد تعصف بسلطانه في هذا القطر النائي ؟ وهو الذي عرف بحزمه وعقله وكياسته، حتى وصف بأنه رجل محشو عقلا، وبأنه رجل بني أمية [١]، كما عرف باهتمامه بمعرفة أحوال الولايات وشدة تقصِّيه لأخبار ولاته وعماله ومتابعتهم، حتى كان يضع العيون والجواسيس من خيار الناس يحصون أقوال الولاة والعمال ليتأكد من سيرهم بالعدل، وقضائهم حوائج الخلق، فلا شيء يحدث في شرق البلاد ولا غربها إلا وصل إليه خبره فينظر فيه بنفسه [٢]، قال غسَّان بن عبدالحميد :" لم يكن أحد من بني مروان أشدَّ نظرًا في أمر أصحابه ودواوينه، ولا أشدَّ مبالغةً في الفحص عن أموره من هشام " [٣]، وفضلا عن هذا لم يعرف عن هشام شدة احتجابه عن رعيته، بل المعروف عنه أنه كان سهل الحجاب كثير الاختلاط بالناس، وليس هذا فحسب بل كان يتعرض للناس بنفسه ويسأل عن أحوالهم، ويحرِّضهم على المطالبة بحقوقهم [٤]، ثم كيف يعجز هذا الوفد عن مقابلته وهو يصلي بالناس

(١) ابن قتيبة : المعارف، تحقيق / ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٦٥، البلاذري : أنساب الأشراف ج ٨ ص ٣٧٩،٣٨٠، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص٢٠٢.

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج٢ ص ١٤٧.

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ج٨ ص ٣٩١، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص ٢٠٣ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج٢ ص ١٤٦، ١٤٧، ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق / محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان١٤١٢ هـ /١٩٩٢ م، ج ٧ ص ٩٨ .

في المسجد الجامع ؟ والأغرب من ذلك أن يستمر عجزهم عن مقابلته عدة أيام، بل سنة كاملة كما يدَّعي البعض[١] حتى نفد زادهم، واضطروا للعودة إلى بلاد المغرب آيسين [٢] .

ـ أحداث الثورة :

كانت طليعة الثورة من قبيلة مطغرة بقيادة زعيمها ميسرة رأس الصفرية في المغرب، ثم أيدته قبائل المغرب الأقصى كلها التي انتشر بين أبنائها هذا المذهب، فانضمت إليه برغواطة [٣] بقيادة زعيمها طريف بن شمعون وابنه صالح [٤]، ومكناسة بقيادة زعيمها أبو القاسم سمكو بن واسلوا [٥]، كما انضم

(١) عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق / أحمد ابن ميلاد، محمد إدريس، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان١٤١٠هـ /١٩٩٠م، ص ١٣٦، محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج٢ ص ٢٤٢، ٢٤٥ .

(٢) حمدي شاهين : الدولة الأموية المفترى عليها ص ٣٦٥ .

(٣) برغواطة : قبيلة بربرية من بربر مصمودة، كان لها في صدر الإسلام التقدم والكثرة، وكانت شعوبًا كثيرةً متفرقةً مواطنها في إقليم تامسنا بالمغرب الأقصى، وقد تمكن زعيمها طريف من إقامة إمارة توارث أبناؤه حكمها من بعده، امتد عمرها لأكثر من ثلاثة قرون . ابن خلدون : العبر ج٦ ص٢٧٦، رجب محمد عبدالحليم : دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (١٢٥. ٤٥٥ / ٧٤٣ . ١٠٦٣م) دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .د. ت، ص٣٤،٥.

(٤) البكري : المسالك والممالك ج٢ ص ٨١٩، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ٢٧٦،، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ق ٣ ص١٨١، رجب محمد عبدالحليم : دولة بني صالح في تامسنا ص ٤٣، ٤٤.

(٥) كان أبو القاسم سمكو بن واسول جد مدرار قد التقى بعكرمة مولى ابن عباس في القيروان، وأخذ عنه مبادئ المذهب الصفري، ثم عاد إلى مواطن قبيلته مكناسة بالمغرب الأقصى فنشره بينهم، واعتنقه جماعة منهم وقدَّموه عليهم، فلما بلغ عددهم أربعين ولوا أمرهم عيسى بن يزيد، وأقاموا دولة بني مدار على المذهب الصفري، وبنوا مدينة سجلماسة حاضرة لدولتهم . البكري : المسالك والممالك ج٢ ص٨٣٧، ٨٣٨، ابن خلدون : العبر ج٦ ص١٧١، ١٧٢، مجهول : مفاخر البربر، تحقيق/ عبدالقادر بوباية، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٥ م، ص ١٤٠.

إليهم بعض الأفارقة بقيادة عبد الأعلى بن جريج الإفريقي، وهو من موالي موسى بن نصير، الذي يصفه ابن خلدون [١] بأنه " كان مقدم الصفرية في انتحال مذهبهم "، وهكذا تسنى لميسرة توحيد القبائل البربرية في المغرب الأقصى تحت زعامته .

وقد وفق الثوار في اختيار المكان والزمان المناسبين للثورة، فأمَّا المكان فكان على أرض المغرب الأقصى حول مدينة طنجة [٢]، بعيدًا عن القيروان مقر الوالي ابن الحبحاب، فضلا كونها موطن القبائل البربرية المشاركة فيها، والتي انتشرت بين أبنائها مبادئ الخوارج الصفرية، وبذلك يتسنى للثورة النجاح .

أما الزمان فقد انتهز الثوار فرصة إرسال ابن الحبحاب معظم قواته بقيادة قائده حبيب بن أبي عبيدة في حملة بحرية إلى صقلية سنة ١٢٢ هـ، وإلى هذا يشير الذهبي [٣] بقوله : " فثاروا واغتنموا غيبة العساكر "، وهذا يعني أنه لم يكن في استطاعة ابن الحبحاب توجيه قوات كبيرة لمكان الثورة ؛ نظرًا لوجود معظم قواته خارج البلاد، وبذلك يتحقق النجاح للثورة [٤] .

---

(١) العبر ج٦ ص ١٤٤، ١٤٥ .

(٢) هناك رواية لخليفة بن خياط تشير إلى أن الثورة اشتعلت في إقليمي طنجة والسوس الأقصى في وقت واحد، حيث ثار عبدالأعلى بن جريج الإفريقي في إقليم طنجة، وثار ميسرة في إقليم السوس الأقصى، وتذكر هذه الرواية أنهما ثارا في وقت واحد للنصف من رمضان سنة اثنتين وعشرين ومائة، ولكن هذه الرواية يشوبها الاضطراب، ولا تتفق مع سير الأحداث، فضلا عن أنها تذكر في ثناياها أن ميسرة أرسل قائدًا قتل عبد الأعلى بن جريج، وهذا يخالف ما جاء في جميع المصادر من أن ميسرة بعد أن استولى على طنجة ولى عليها عبد الأعلى بن جريج . تاريخ خليفة ص ٢٥٣،٣٥٢ .

(٣) تاريخ الإسلام ج٣ ص ٣٥٤ .

(٤) الرقيق: تاريخ إفريقية ص ٦٧، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٨٢،ابن الأثير: الكامل ج٤ ص٤١٦.

- استيلاء الثوار على مدينة طنجة :

انطلقت الشرارة الأولى لهذه الثورة في مدينة طنجة في ١٥ رمضان من سنة ١٢٢هـ/ ١٣ أغسطس ٧٤٠ م، حيث توجه ميسرة بجموعه من الخوارج الصفرية إليها، فتصدى لهم عاملها عمر ابن عبدالله المرادي، ودارت بين الفريقين رحا معركة رهيبة على أطراف مدينة طنجة أسفرت عن انتصار ميسرة وجموعه من البربر ومقتل عمر بن عبدالله المرادي [١]، وعقب هذا الانتصار اقتحم ميسرة وجموعه مدينة طنجة فاستباحوها وانتقموا من أهلها شر انتقام، فقتلوا كل من قابلهم حتى الصبيان، وسبوا النساء، ولم ينج من أيديهم إلا من تمكن من الفرار [٢] .

فرض الثوار سيطرتهم على طنجة، ولم ينتظر ميسرة حتى يكتب لثورته النجاح بل تعجل قطف ثمار هذا الانتصار الجزئي الذي حققه باستيلائه علي طنجة فدعا لنفسه بالخلافة، وبايعه أتباعه من الخوارج الصفرية طبقًا لمذهبهم ورأيهم في الخلافة، وخاطبوه بأمير المؤمنين [٣]، ولم يكتف بهذا بل أخذ يمارس سلطاته كخليفة، فولَّى على طنجة عبد الأعلى بن جريج أحد أتباعه [٤]، كما استوزر صالح بن طريف ثم عزله [٥]، وهذا يعني عدم اعتراف القائمين بالثورة بالسلطة الدينية والروحية للخليفة في دمشق، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على تغلغل وانتشار مذهب الخوارج ومبادئهم بين الثائرين، تلك المبادئ التي تنادي بجواز الخروج على أئمة الجور وقتالهم وبأن الإمامة

---

(١) الرقيق : المصدر السابق نفسه، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٤١ .

(٢) خليفة : تاريخ خليفة ص ٣٤٧، ٢٥٢، مجهول : أخبار مجموعة ص ٣٤، ٣٥ .

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣، ابن الأثير: الكامل ج٤ ص ٤١٦، ابن خلدون: العبر ج٤ ص٢٤١، ج٦ ص ١٤٥.

(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ص ٢٩٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨٢ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ق ٣ ص ١٨١ .

ليست قاصرة على القرشيين وحدهم، بل هي حق لكل مسلم ولو كان عبدًا حبشيًا.

عقب هذا الانتصار اكتسبت ثورة البربر زخمًا جديدًا، وانضم إليها كثير ممن ترددوا في الانضمام إليها في بدايتها، فتوافدوا على ميسرة من كل اتجاه فكثر جمعه، واشتد أمره بطنجة ونواحيها [١] .

- استيلاء الثوار على إقليم السوس الأقصى :

شجع هذا الانتصار ميسرة على المضي قدمًا في ثورته، والعمل على استخلاص المغرب الأقصى من قبضة الخلافة الأموية، فغادر طنجة في جموع غفيرة من أتباعه متوجهًا إلى السوس الأقصى، فحاول إسماعيل بن عبيدالله بن الحبحاب عامل السوس التصدي لهم ومنعهم من الوصول إليها عن طريق إرسال قوات لقتالهم خارجها، ولكن جهوده ذهبت سدى، حيث تمكن ميسرة من هزيمة هذه القوات، ثم فاجأ إسماعيل وقتله [٢] .

ترتب على هذه الانتصارات التي حققها ميسرة على عمال ابن الحبحاب في المغرب الأقصى اشتعال لهيب الثورة في أجزاء واسعة من بلاد المغرب، وازدادت العناصر المؤيدة لها حتى " اضطرم المغرب نارا " [٣] و" وثب كل قوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا " [٤]، وقد واجه الثوار مقاومة عنيفة من العرب المقيمين بالمغرب الأقصى، ومن البربر الموالين للخلافة، فلم يستطيعوا السيطرة على المغرب الأقصى إلا بعد أن خاضوا وقائع بلغت من الكثرة حدًا جعل المؤرخين يعزفون عن سردها والحديث عنها، حيث وصف ابن عذارى [٥] تلك الوقائع بأنها " كثيرة يطول ذكرها "، وعلى الرغم

(١) ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١٦، ابن خلدون : العبر ج٤ ص ٢٤١ .
(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٥٣، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨٢ .
(٣) ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١٥٦ .
(٤) مجهول : أخبار مجموعة ص ٣٥ .
(٥) البيان المغرب ج١ ص ٨٢ .

من هذا تمكن الثوار من الاستيلاء على المغرب الأقصى، وخرج عن سلطان الخلافة .

لم يتوقف المد الثوري عند هذا الحد، بل حشد الثوار جموعهم واتجهوا ناحية القيروان مقر ولاية المغرب، وهذا دليل كاف على أن الهدف من الثورة لم يكن التخلص من المظالم الاقتصادية التي نزلت بالبربر، وإنما التخلص من سيطرة الخلافة الأموية ليس على المغرب الأقصى فقط وإنما على كل بلاد المغرب .

- موقعة الأشراف :

عندما علم ابن الحبحاب بأنباء هذه الانتصارات، وما صاحبها من قتل ابنه إسماعيل وعامله على طنجة اغتم لذلك، وعمل بكل ما استطاع من قوة على إخماد هذه الثورة والانتقام من مثيريها قبل أن يستفحل أمرها وتعم بلاد المغرب كلها، غير أنه كان في وضع لا يحسد عليه، حيث الجزء الأكبر من جيشه خارج البلاد في حملة صقلية، وما تبقى لديه من قوات لا يستطيع وحده مجابهة قوى الثورة، لا سيما بعد فقدان جزءٍ كبيرٍ من هذه القوات في الحروب التي وقعت بينها وبين قوات ميسرة في طنجة والسوس، ورغم هذا حاول ابن الحبحاب قدر المستطاع حشد ما تبقى لديه من قوات، وأرسل إلى حبيب بن أبي عبيدة قائد حملة صقلية يأمره بسرعة العودة بمن معه من القوات إلى إفريقية لمواجهة هذه الثورة، ولما كان خطر الثورة يزداد يومًا بعد يوم ؛ لأنها أخذت تنتشر في سرعة مذهلة، لم ير ابن الحبحاب ثم ضرورة تستدعي انتظار وصول قوات حبيب من صقلية، فجهز على الفور جيشًا ضم خيرة أهل إفريقية وأشرافها من قريش والأنصار وغيرهم من فرسان العرب وشجعانهم، جعل على قيادته أبو الأصم خالد بن أبي حبيب الفهري، وأمره بمواجهة ثوار البربر والقضاء عليهم [1]

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٣، ٢٩٤، الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨٣، إبراهيم بيضون : الدولة العربية في إسبانيا ص ١١٠.

خرج خالد بقواته إلى طنجة، ولما عاد حبيب بن أبي عبيدة من صقلية سيَّره ابن الحبحاب في أثره، وسار خالد بقواته حتى عبر وادي شلف [١] بالقرب من مدينة تاهرت [٢]، ثم قدم حبيب فنزل على الضفة الشرقية من النهر وظل في مكانه، ولم يتقدم بقواته للانضمام إلى قوات خالد [٣].

وتصرف حبيب يدعونا للتساؤل عن أسباب توقفه في هذا المكان، ولماذا لم يتقدم بقواته وينضم إلى قوات خالد ليقدِّم لها الدعم في مواجهة الثورة؟

لم تشر المصادر إلى أسباب توقفه، إلا أن هذا التصرف يمكن تفسيره بأحد احتمالين :

. الاحتمال الأول : أنه فعل هذا ليحول دون انضمام بربر المغرب الأوسط إلى الثورة، وإرهابًا لمن قد تحدثهم أنفسهم بالعصيان في هذه المناطق، ورد أي زحف محتمل يأتي من الغرب يستهدف القيروان .

---

(١) وادي شلف : هو وادي في المغرب الأقصى، يمر فيه نهر شلف المشهور الذي ينبع من جبال أوراس جنوبي مدينة الجزائر الحالية، ويتجه إلى الشمال حتى إذا اقترب من البحر انحرف إلى الغرب وسار بمحاذاة الساحل حتى يصب في البحر المتوسط إلى الشرق من مدينة وهران الحالية، والمجرى الأعلى لهذا النهر الذي يسير من الجنوب إلى الشمال يمثل الحد الفاصل بين المغربين الأدنى والأوسط . حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الرابعة، دار الرشاد، القاهرة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ص ٥٥ .

(٢) تاهرت : اسم لمدينتين متقابلتين بالمغرب الأوسط (الجزائر الحالية)، تسمى إحداهما بتاهرت القديمة وهي المقصودة هنا، وهي من المدن التي بناها البيزنطيون، والأخرى تاهرت الحديثة وتبعد عن تاهرت القديمة بنحو ٩ كيلو متر، وقد بناها عبدالرحمن بن رستم سنة ١٦٤هـ لتكون عاصمة للدولة الرستمية . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧ . ٩، ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٥٠ .

(٣) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ٨٣ .

ـ الاحتمال الثاني : وصوله في وقت متأخر، فحال تأخره دون المشاركة في المعركة، مما جعله يتوقف في مكانه بانتظار إمدادات كافية [١] .

والباحث يميل إلى ترجيح الاحتمال الثاني ؛ لأنه يتفق مع سير الأحداث، فأحداث ثورة البربر سارت بصورة متسارعة، وابن الحبحاب أرسل خالد بن أبي حبيب على وجه السرعة لقمع الثورة وتدارك الموقف قبل فوات الأوان، وعودة حبيب بقواته من صقلية تستغرق وقتًا طويلا، فلما عاد أرسله ابن الحبحاب في أثر خالد لتقديم الدعم والمساعدة له، ولكنه وصل متأخرا فحال تأخره دون اشتراكه في القتال الذي وقع بين قوات خالد وثوار الخوارج من البربر، فتوقف بقواته على الضفة الشرقية لنهر شلف، ولم يجرؤ على مهاجمة ثوار البربر عندما علم باستشهاد خالد ومن معه في موقعة الأشراف .

وأيا كان الأمر فيما يتعلق بأسباب توقف حبيب بقواته عند نهر شلف، فقد تقدَّم خالد بن أبي حبيب على رأس قواته بعد أن عبر نهر شلف، وتابع مسيره غربًا حتى التقى بميسرة وجموعه بالقرب من طنجة " فاقتتلوا قتالا شديدًا لم يسمع بمثله " [٢] في معركة لم تكن نتيجتها حاسمةً لأحد الفريقين، آثر ميسرة بعدها الانسحاب بقواته إلى طنجة، فثار عليه أتباعه وقتلوه [٣] .

وانسحاب ميسرة من ميدان المعركة وعودته إلى طنجة يدعونا للتساؤل عن سبب انسحابه دون أن يحقق انتصارًا، ولماذا ثار عليه أتباعه من البربر؟ ولماذا انتهت حياته هذه النهاية الأليمة ؟

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٥٣، لقبال موسى : المغرب الإسلامي ص ١٥٩، إبراهيم بيضون : الدولة العربية في إسبانيا ص ١١٠ .

(٢) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١٦، ٤١٧، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨٣، ٨٤، ابن خلدون : العبر ج٤ ص٢٤١، ٢٤٢ .

في الحقيقة لم تشر المصادر إلى سبب انسحاب ميسرة بقواته إلى طنجة عقب القتال الذي دار بينه وبين خالد بن أبي حبيب عند أطراف طنجة، ومع هذا فيبدو أن سبب انسحابه يرجع إلى أحد الأسباب التالية :

١. أنه رأي من خلال القتال الذي دار بينه وبين قوات خالد ما تتمتع به قوات خالد من شجاعة وروح قتالية عالية فخاف من رجحان كفتهم عليه، ففضل الانسحاب من ساحة المعركة والعودة إلى طنجة، لإعادة تنظيم قواته من جديد لضمان النصر [١] .

٢. حدوث انشقاق في صفوف أتباعه بسبب تنازعهم حول القيادة، أو بسبب تصرفات صدرت منه لم تعجبهم فثاروا عليه، فانسحب من ميدان المعركة خشية أن تلحق به الهزيمة، ومما يرجح حدوث هذا الانشقاق غضب حليفه طريف بن شمعون من انقلاب أتباع ميسرة عليه، واعتزاله الثوار وانسحابه مع جموعه عقب مقتل ميسرة إلى إقليم تامسنا [٢] حيث أقام به دولة توارثها أبناؤه من بعده .

٣. ومن غير المستبعد أيضًا أن يكون انسحابه كما يرى أحد الباحثين[٣] بسبب هزيمته في المعركة، وإلا فما الداعي لانسحابه ولجوئه إلى الدفاع بعد الهجوم .

أمَّا عن سبب ثورة أتباعه عليه، ونهاية حياته على أيديهم بهذه الطريقة المأساوية، فيبدو أن انسحابه على هذا النحو المشين كان سببًا في تغير قلوب أتباعه من البربر عليه، حيث اعتبروا انسحابه فرارًا وتخليًا عن المعركة، وهو بهذا الصنيع قد خالف ما جرى عليه أسلافه من الخوارج من

(١) عمر فروخ : العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ص ١٤٠ .

(٢) تامسنا : إقليم متسع بالمغرب الأقصى يمتد ما بين وادي أبي الرقراق شرقًا ووادي أم الربيع غربًا وجبال الأطلس جنوبًا وشواطئ البحر والمحيط الأطلنطي شمالا . البكري : المسالك ص ٨١٩ .

(٣) محمود عبدالرازق : الخوارج في بلاد المغرب ص ٦٥ .

الاستماتة في القتال والبقاء في ميدان المعركة حتى يتحقق النصر، أو يفوزوا بالشهادة، فثاروا عليه وعزلوه من الخلافة ونقضوا بيعتهم له وقتلوه [١] . وربما كان سبب ثورتهم عليه وقتله أنه أساء السيرة، وحاد عن مبادئه التي بايعوه عليها [٢] .

وأيا كان الأمر فيما يتعلق بعودة ميسرة وثورة أتباعه عليه فقد انتهت حياته نهاية مأساوية بقتله على أيديهم، وانتهت بقتله أول محاولة لإقامة خلافة خارجية على أرض المغرب في هذا الوقت المبكر من تاريخ الدولة الإسلامية، وعقب قتله اختار الثوار قائدًا جديدًا هو خالد بن حميد الزناتي [٣]، وخرج الثوار تحت لوائه إلى قتال قوات خالد بن أبي حبيب عند وادي شلف، حيث عبأ كل فريق قواته لخوض معركة فاصلة، ولجأ خالد بن حميد إلى الحيلة لكسب النصر، حيث قام بتقسيم قواته إلى قسمين : الأول وجهه إلى ميدان المعركة لمواجهة قوات خالد بن أبي حبيب، والثاني قاده بنفسه وانفصل به

(١) دوزي : تاريخ مسلمي أسبانيا ج١ ص ١٤٩، لقبال موسى : المغرب الإسلامي ص ١٥٩ .

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٤، الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، الذهبي : تاريخ الإسلام ج٣ ص ٣٥٥ .

(٣) خالد بن حميد الزناتي : هو أحد قواد ثورة البربر، من قبيلة هتورة إحدى بطون زناتة، اعتنق مبادئ الخوارج الصفرية، وتولى قيادة البربر في ثورتهم على الخلافة الأموية بعد مقتل ميسرة المطغري، وتمكن من هزيمة القوات التي أرسلها ابن الحبحاب بقيادة خالد بن أبي حبيب في موقعة الأشراف هزيمة منكرة، راح ضحيتها كثير من أشراف العرب في سنة ١٢٢هـ، كما تمكن من هزيمة القوات التي أرسلها هشام بن عبدالملك مع كلثوم بن عياض القشيري في معركة بقدورة على ضفاف نهر سابو بالقرب من تاهرت في سنة ١٢٣هـ . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٥، الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٧، ٦٨، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١٧، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨٤ . ٨٦ .

بعيدًا عن ميدان القتال ؛ ليقوم بحركة تطويق من الخلف لقوات خالد، ويمنع اتصالها بقوات حبيب بن أبي عبيدة المرابطة عند وادي شلف .

وفي المحرم من سنة ١٢٣ هـ / نوفمبر ٧٤٠ م التقى الجمعان بوادي شلف ودار بينهما قتال عنيف صبر فيه العرب وأبدوا ضروبًا من الشجاعة على الرغم من قلة عددهم بالنظر لجموع الثوار، ولما بلغ القتال أشده قام خالد بن حميد ومن معه بالانقضاض على مؤخرة قوات خالد بن أبي حبيب الذين أخذوا بهول المفاجأة، حيث وجدوا أنفسهم مهاجمين من الجانبين، فدبت الفوضى في صفوفهم وولوا الأدبار، وثبت خالد في مجموعة من أشراف العرب وقادتهم الذين كرهوا أن يعيشوا بعد عار الهزيمة، فألقوا بأنفسهم وسط قوات العدو، وباعوا حياتهم غاليةً واستشهدوا جميعًا " فقتل في هذه الوقعة حماة العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها " ولذا سميت بـ(غزوة الأشراف)[١].

وإذا بحثنا عن أسباب هزيمة خالد بن أبي حبيب وقواته نجد أنها تعود إلى العديد من الأسباب منها :

١ـ الكثرة العددية للثائرين من خوارج البربر، وقلة عدد قوات خالد بن أبي حبيب .

٢. التعب والإعياء الذي أصاب قوات خالد بسبب كثرة المعارك التي خاضها ضد ثوار البربر .

٣. عدم اشتراك قوات حبيب بن أبي عبيدة في المعركة واكتفائه بمراقبتها من فوق ضفة وادي شلف .

ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى ابن الحبحاب خشي أن يقصد الثوار القيروان، فأرسل عبدالرحمن بن المغيرة العبدي إلى تلمسان، فاشتد في معاملة سكانها من الخوارج الصفرية وأسرف في الانتقام منهم، فقتلهم قتلا ذريعًا حتى

(١) الرقيق : تاريخ إفريقية ص ٦٧،٦٨، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص٤١٧، النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص٣٢ .

سمي بـ (الجزار)، مما أدى إلى موجة من السخط عليه انتهت بإجباره على ترك المدينة [١] .

أما حبيب بن أبي عبيدة ومن معه فعقب الهزيمة الفادحة التي لحقت بخالد وقواته أدرك أنه لا قبل له بمواجهة جموع البربر الثائرة لكثرتها، فتوجه بقواته إلى مدينة تلمسان، حيث اتهم واليها موسى بن أبي خالد . من موالي اليمنية، كان مولى لمعاوية بن حديج الكندي . بالتواطؤ مع الصفرية، فعاقبه بقطع أطرافه، واستمر معسكرًا بقواته ينتظر وصول الأوامر والإمدادات من والي المغرب الجديد أو من الخليفة هشام بن عبدالملك [٢].

ـ الآثار التي ترتبت على هزيمة قوات ابن الحبحاب في موقعة الأشراف:

أسفرت هذه الهزيمة التي منيت بها قوات ابن الحبحاب أمام قوات الثوار من الخوارج الصفرية عن نتائج في غاية الخطورة كان لها صداها المؤثر في بلاد المغرب، وفي الأندلس، وفي مقر الخلافة الأموية بدمشق .

ـ أما عن أثرها في بلاد المغرب :

. فقد ترتب عليها سيطرة الثوار على المغرب الأقصى بكل مدنه، وخروجه عن سلطان الخلافة الأموية.

ـ انتشرت موجة من الارتباك والفوضى في بلاد المغرب، فـ " انتقضت البلاد ومرج أمر الناس " [٣]، واضطربت الأمور على ابن الحبحاب، وأصبح عاجزًا عن حلها، فحمَّله أهل القيروان تبعات ما حدث فثاروا عليه وطالبوا بعزله، ولما رأى هشام بن عبدالملك عجزه عن ضبط الأمور استدعاه إلى دمشق في

---

(١) خليفة ابن خياط : تاريخ خليفة ص ٣٥٣، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ص٢٩٤، النويري : نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٢ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٤ ص ٤١٧، النويري : نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٣٢، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ١٤٥.

جمادى الأولى سنة ١٢٣هـ / مارس ٧٤١ م، وحمَّله مسئولية ما حدث في بلاد المغرب فعزله، وولى مكانه كلثوم بن عياض القشيري [١] .

. شجع هذا الانتصار جموع المترددين من البربر على الانضمام للثورة وتأييد الثوار، فانتشرت الثورة في معظم أرجاء المغرب انتشارًا فاق كل تقدير[٢].

ـ توقف نشاط الأسطول البحري المغربي في حوض البحر المتوسط الغربي طيلة اثني عشر عامًا، بسبب انشغال الخلافة الأموية بإخماد ثورة البربر في شمال إفريقيا، ولم يستأنف هذا النشاط إلا في سنة ١٣٥هـ/٧٥٢ م، ففي تلك السنة بعث عبدالرحمن بن حبيب الفهري حملة إلى صقلية، فظفر جنودها وعادوا بما غنموا [٣] .

ـ أما عن صداها في الأندلس :

فإن انتصار البربر وخلعهم للطاعة دفع أهل الأندلس إلى خلع طاعة عبيدالله بن الحبحاب، فما كادت أنباء هزيمة قوات ابن الحبحاب في موقعة الأشراف تصل إلى مسامع أهل الأندلس حتى ثاروا على عامله عقبة بن الحجاج السلولي وعزلوه من منصبه، وولوا مكانه عبدالملك بن قطن الفهري والي الأندلس السابق وذلك في صفر سنة ١٢٣هـ/ يناير ٧٤١ م [٤] . واختلفت الأقوال في مصير عقبة بعد عزله، فقيل : إن عبدالملك بن قطن خلعه ثم قتله . وقيل : بل أخرجه من الأندلس وولي مكانه، وقيل : إن عقبة

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص٣٩، ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٣٣٨.

(٢) الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٨، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٨٤.

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٥٠١، ج ٥ ص ٩٧، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٩٧، النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص ١٩٤ .

(٤) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص ٦٨، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٩، مجهول : أخبار مجموعة ص ٣٥، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٨٤، ج٢ ص ٣٨، النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص٣٢.

لما حانت وفاته استخلف عبد الملك بن قطن بعده، ثم توفي في صفر سنة ١٢٣ هـ [١] .

- أما عن صداها في مقر الخلافة الأموية بدمشق:

فقد تمثل في أنه لما وصلت أخبار الهزيمة إلى دمشق اهتزت الخلافة لهذه الفاجعة، وشق ذلك على الخليفة هشام بن عبدالملك وغضب غضبًا شديدًا، وعزم على إخماد ثورة البربر بكل الوسائل، وقال قولته المشهورة المتداولة: " أَقُتِلَ أولئك الرجال الذين كانوا يقدمون علينا من العرب؟ قيل: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: والله لأغضبن لهم غضبةً عربيةً، ولأبعثن إليهم جيشًا أوله عندهم، وآخره عندي، ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو يمني "، وأرسل يستدعي ابن الحبحاب فغادر المغرب في جمادى الأولى سنة ١٢٣ هـ / مارس ٧٤١ م [٢] .

لم تنته ثورة البربر عند هذا الحد وإنما استمرت مشتعلة في بلاد المغرب، وظل الخليفة هشام ابن عبدالملك يبذل جهده للقضاء عليها وإخمادها، ولا يسعنا الحديث عن هذه الأحداث بالتفصيل لبعدها عن مجال البحث، وإنما يكفي أن نشير في إيجاز إلى أنه بعد عزل ابن الحبحاب ولى هشام على المغرب رجلا قيسيا هو كلثوم بن عياض القشيري في جمادي الثانية سنة ١٢٣هـ، ودعمه بالرجال والسلاح، وأعطاه صلاحيات واسعة، ورغم هذا فشل في إخماد ثورة البربر ولقي حتفه مع عدد من قواده ومن بينهم حبيب بن أبي عبيدة إثر الهزيمة التي لحقت بهم في معركة بقدورة على ضفاف نهر

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص ٣٨، ابن خلدون : العبر ج٣ ص ١٧٧، ج٤ ص ١٥٢، ٢٤٢، ج ٦ ص ١٥٦، المقري : نفح الطيب ج١ ص ٢٣٦، ج٣ ص ١٩.

(٢) الرقيق: تاريخ إفريقية ص ٦٨، ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٤١٧، النويري : نهاية الأرب ج٢٤ ص ٣٢ .

سبو بالقرب من مدينة تاهرت(١)، ولمَّا بلغت أنباء هذه الهزيمة القاسية هشام بن عبدالملك، كان لها وقع أليم على نفسه، وزاده ذلك تصميمًا على إخماد هذه الثورة، وحلف بالله " لئن بقي ليخرجن إليهم مائة ألف كلهم يأخذ العطاء؛ ثم ليخرجن مائة ألف ... حتى إذا لم يبق غير نفسه وغير بنيه، أقرع بينه وبينهم، ثم يخرج بنفسه إن وقعت عليه القرعة"(٢).

بعد استشهاد كلثوم بن عياض وقع اختيار الخليفة هشام على حنظلة بن صفوان الكلبي والي مصر (١١٩ . ١٢٤ هـ / ٧٣٧ . ٧٤١ م) فكتب إليه يوليه على بلاد المغرب، وأرسل معه جيشًا جرارًا لإنقاذ الموقف، وقد تمكن حنظلة من إخماد ثورة البربر بعد الانتصار عليهم في معركتي القرن بالقرب من القيروان، والأصنام بالقرب من طبنة في سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢ م(٣)، وتمكن بهذا الانتصار الساحق على الخوارج الصفرية من رد الاعتبار للدولة الأموية وولاتها في بلاد المغرب، وعوضهم معنويًا عن هزيمتهم في موقعتي الأشراف وبقدورة.

نهاية ابن الحبحاب:

كانت نهاية ابن الحبحاب شبيهةً بنهاية القائد البربري الشهير طارق بن زياد يكتنفها غموض المصير وجهالة المنقلب، فكما لم تشر كتب التاريخ بشيء عن طارق بعد سفره مع موسى بن نصير إلى دمشق، كذلك لم تذكر شيئًا ذا بال عن ابن الحبحاب بعد عزله عن ولاية المغرب والأندلس، واستدعاء هشام له إلى المشرق في جمادى الأولى سنة ١٢٣هـ، فقد لفه النسيان، فلا نكاد نسمع من أخباره شيئًا بعد ذلك سوى ما ذكره خليفة بن خياط

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٠، مجهول : أخبار مجموعة ص ٣٦ . ٤٠، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٨٥، ٨٦ .

(٢) مجهول: أخبار مجموعة ص ٤٠، ٤١.

(٣) مجهول : أخبار مجوعة ص ٤١ .

(ت٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) [١] من أنه تولى ديوان الخراج في العراق لواليها يزيد بن عمر بن هبيرة وقتل معه على يد قوات العباسيين، وما ذكره ابن الأبار(ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) [٢] من أنه ولي الخراج وكتب فيه لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، والباحث يميل إلى ترجيح ما ذكره خليفة لأنه من مؤرخي العراق، وعاش في فترة قريبة نسبيًا من وقوع الأحداث، فقوله أولى بالقبول من قول ابن الأبار الأندلسي الأصل، والذي تفصله عن الأحداث فترة طويلة، فضلا عن أنه روى هذا الخبر بصيغة التمريض التي تدل على ضعفه، وتوحي بعدم جزمه بصحته حيث بدأه بقوله : " فيُذكر أنه تولى الخراج وكتب فيه لمروان بن محمد " .

وأيا كان الأمر فيما يتعلق بهذا الخبر فقد اتفقت المصادر [٣] التي ترجمت لابن الحبحاب ومن بينها كتاب ابن الأبار [٤] على أنه قتل مع ابن هبيرة على يد قوات العباسيين بواسط في يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩ م .

❁❁❁❁❁

(١) تاريخ خليفة ص ٤٠٩ .
(٢) الحلة السيراء ص ٣٣٨ .
(٣) تاريخ خليفة ص ٤٠٢ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص ١٤٠، ابن يونس : تاريخ بن يونس ق٢ ص ١٤٠، ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ٣٧ ص ٤١٦.
(٤) الحلة السيراء ج ٢ ص ٣٣٨

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد في الأولى والآخرة ، وبعد . فلعلي بعد هذا القدر من البحث والدراسة أكون قد وفقت في رسم صورة صادقة عن عبيدالله بن الحبحاب السلولي ودوره الإداري والسياسي والعسكري والعمراني في العصر الأموي، تحريت فيها الدقة في كل ما ذكرت من خلال الاعتماد على المصادر الأصيلة الموثوقة، وحرصت على أن أكون منصفًا فيما أصدرته من أحكام، فذكرت ما لابن الحبحاب من إيجابيات وما عليه من سلبيات، وقد اتضح لي من خلال هذا البحث العديد من النتائج من أهمها :

١ـ أن ابن الحبحاب كان أحد كتاب الدولة الأموية وقادتها البارزين في عهد هشام بن عبدالملك، وأنه بدأ حياته العملية كاتبًا صغيرًا في ديوان الخراج، واستطاع بجده ونشاطه أن يصبح رئيسًا لهذا الديوان، ثم ولي خراج مصر، ثم تناهت به الحال إلى أن أصبح واليًا على المغرب والأندلس .

٢. أن ابن الحبحاب إلى جانب إتقانه صنعة الكتابة كان على درجة عالية من الثقافة، بارعا في الفصاحة والبلاغة، حافظا لأيام العرب وأشعارها وأخبارها ووقائعها، ذا بلاغة في لسانه وقلمه .

٣ـ بيَّن البحث أن إيرادات مصر من الخراج والجزية شهدت أثناء ولاية ابن الحبحاب زيادة كبيرة عن الفترات السابقة واللاحقة، وأن هذه الزيادة ترجع إلى تنفيذه أوامر الخليفة هشام بن عبدالملك الذي أوصاه بالاجتهاد في عمارة مصر، وإلى الجهود التي بذلها في النهوض بالقطاع الزراعي بها، وقدرته على تنظيم وسائل الجباية، ولا ترجع إلى الزيادة الطفيفة التي فرضها على الخراج، أو إلى فرض ضرائب إضافية وتحميل أهل مصر فوق طاقتهم .

٤ـ أثبت البحث أن ثورة الأقباط في منطقة الحوف الشرقي لم يكن مبعثها الزيادة الطفيفة التي أقرها ابن الحبحاب على الخراج فقط، وإنما ترجع أيضا إلى أن الخليفة هشام بن عبدالملك أبدى تعاطفه وبسط رعايته على الأقباط

الملكانية وأصدر بعض القرارات بحقهم، الأمر الذي أغضب الأقباط اليعاقبة وهم أكثرية ودفعهم إلى الثورة .

٥. أوضح البحث أن ما قام به ابن الحبحاب من نقل القبائل القيسية إلى مصر لم يكن دافعه العصبية القبلية، ولا رغبته الشخصية في تقوية مركزه فقط، وإنما كان هذا من مقتضيات سياسة الإصلاح الاقتصادي التي انتهجها منذ ولايته للخراج، كما استهدف منه تحقيق العديد من الغايات والأهداف التي تخدم الوجود الإسلامي في مصر .

٦ـ حظي ابن الحبحاب أثناء عمله بوظيفة الخراج في مصر بمكانة كبيرة، وحاز سلطة فاقت سلطة الولاة الذين عاصرهم، وعظم شأنه وعلت مكانته وامتد نفوذه إلى عزل الولاة وتوليتهم برضى الخليفة هشام بن عبدالملك، ولم يكن أمره نافذًا على ولاة مصر فقط، بل كان نافذًا أيضًا في اختيار قضاتها، ونظرا لكل هذه السلطات فإن ابن الحبحاب لم يكن مجرد وال على الخراج وإنما كان بمثابة نائب للخليفة في مصر، يشرف على كافة أمورها، وبيده الحل والعقد، واختيار رجال الحكم والقضاء، ومن ثم كان يخاطب في المكاتبات الرسمية بلقب(أمير) وينعت عماله بـ (عامل الأمير) .

٧ـ لم تقتصر جهود ابن الحبحاب خلال فترة ولايته للخراج في مصر على الاهتمام بالنواحي المالية والاقتصادية وإنما اهتم أيضًا بالجانب العسكري، فساعد في نشر الأمن في الوجه القبلي وحماية حدود مصر الجنوبية التي كانت تتهددها قبائل البُجَة .

٨ـ أوضح البحث أن العلاقة بين ابن الحبحاب وولاة مصر لم يكن يسودها الود والوئام في معظم الأحيان، وأن هذا يرجع إلى المنافسة بينه وبين الولاة بسبب المكانة التي تبوأها والنفوذ الذي تمتع به خلال فترة ولايته، وإلى الخلاف بينه وبينهم حول بعض الأمور المتعلقة بالإجراءات المالية .

٩- أكد البحث أن اختيار هشام بن عبدالملك لابن الحبحاب لولاية المغرب والأندلس يرجع إلى ثقته فيه لأمانته وإخلاصه، وإلى ما أظهره من مقدرة فائقة وكفاءة عالية في إدارة شئون الخراج بمصر، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من ميزات وخصائص ذاتية ترجع إلى نشاطه ومقدرته السياسية، وتفانيه في سبيل انجاز ما أوكل إليه من مهام .

١٠- كان لابن الحبحاب أثناء فترة ولايته لبلاد المغرب نشاط عسكري في داخل بلاد المغرب وخارجها، بدأه فور توليه مهام عمله، وقد تمثل هذا النشاط في إرسال حملة عسكرية إلى السوس الأقصى والسودان الغربي، وفي إرسال حملات بحرية دورية إلى جزر حوض البحر المتوسط الغربي، تميزت عن حملات الولاة السابقين بأنها كانت أكثر ترتيبًا وتنظيمًا وبإمكانياتٍ أعظم .

١١. أثبت البحث أن جهود ابن الحبحاب أثناء فترة ولايته على بلاد المغرب لم تقتصر على الأعمال الإدارية والحربية، بل كان له جهوده الحضارية وبخاصة في مجال العمارة والبناء .

١٢- أوضح البحث أن ثورة الخوارج في عهد ابن الحبحاب بقيادة ميسرة المطغري لم تكن ثورة عفوية ولا وليدة اللحظة، وإنما قامت بعد إعداد كبير وتخطيط مسبق، ودعاية واسعة قام بها دعاة الخوارج الصفرية بالمغرب الأقصى، وأنه لم يكن مبعثها سوء سيرة الولاة والعمال أو اضطهاد البربر فحسب، بل كان من أهم أسبابها اعتناق البربر لمبادئ الخوارج الصفرية التي تبيح الخروج على الحاكم .

١٣- أثبت البحث أن قصة سفر الوفد البربري الذي تزعمه ميسرة إلى دمشق لمقابلة الخليفة قبل اندلاع ثورة البربر قصة مختلقة وغير حقيقية، وأن الرواية التي أشارت إلى سفره ضعيفة سندًا ومتنًا، وأن ما تضمنته الرواية من شكاوى على لسان أعضاء الوفد مجرد أكاذيب ملفقة، روجها دعاة الخوارج ليدفعوا بها البربر إلى الثورة .

١٤ـ كان لهزيمة العرب في موقعة الأشراف أمام ثوار البربر تداعيات خطيرة في بلاد المغرب والأندلس، وفي مقر الخلافة الأموية بدمشق، كما كانت سببًا في عزل ابن الحبحاب عن ولاية المغرب والأندلس، وعودته إلى المشرق حيث لفه النسيان وعاش خاملا حتى قتل على يد قوات العباسيين بواسط سنة ١٣٢ هـ .

وفي الختام أدعو الله – سبحانه وتعالى – أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الملاحق

ملحق رقم (١)

رخصة من عامل لابن الحبحاب بالسماح لأحد الأقباط بالانتقال من قريته إلى مكان آخر للعمل به من أجل الوفاء بجزيته ومعيشته، مؤرخة بأول شهر شعبان سنة ١٠٣هـ / ٢٤ يناير ٧٢٢ م.

١ [بسم الله الرحمن الرحيم]

٢ هذ[ا ك]تب [من فلان بن فلان عامل الأمير عبيد الله بن الحبحاب على اعلا]

٣ اشمون [شـ]وده ب[ـن]

٤ فدا هره القمُر من اهـ[ـ]ل مدينة اشمـ[ـون]

٥ انى اذنت لك عنُطب ماس الصـ[ـُمد [ ] وااس[ـ]١١ ٠[ ]

٦ لوفا جزيتـ[ـه ومعيشـ[ـته و [ا] جـ[ـلته خـ[ـمسة اشهر]

٧ من مست[ـهـ]ل شـ[ـعبان سـ[ـنة ثلث ومئـ[ـة الى [انسـ[ـلخ]

٨ ذى الحجة م[ـ]ن سـ[ـنة [ثـ]ل[ـث]ب ومئـ[ـة [و]طعـ[ ]

٩ ر[ ] ٠ ف[ـم]ن لق[ـ]ي[ـ]ه بعـدا[لا[جل الـ[ـذى ا[جلتـ[ـه]

١٠ فلي[ـ]ـده الى مدينـ[ـة والسـ[ـلم عـ[ـلى من اتبع [الهـ[ـدى]

١١ وكتب سـ[ـعيد فـ[ـى شـ[ـعبان سـ[ـنة ثلث [ومئـ[ـة]

L.S. الله و
[ ]

نقلا عن جروهمان : أوراق البردي العربية ج ٣ ص ١١٦

ملحق رقم (٢)

رخصة من عامل لابن الحبحاب بالسماح لأحد الأقباط بالانتقال من قريته إلى مكان آخر للعمل به من أجل الوفاء بجزيته ومعيشته مؤرخة بأول شهر ذي الحجة سنة ١١٢ هـ / ١٤ فبراير ٧٣١ م .

١ بســـم الله الرحمن الرحيم

٢ هذا كتاب من عبد ا[لـ]ـله بن ع[ـبيـ]ـد الله عامل

٣ الامير عبيد الله بن الحبحاب على اعلا اشمون

٤ لقسطنطين ببسطاس شاب ابط نجده اثر و بعنقه خالين

٥ سبط من اهل بسقنون باهه من اعلى اشمون انى

٦ اذنت له ان يعمل باسفل اش[ـمون] ن لوفا جزيته

٧ والتماس معيشته واجلته ش[ـهـ]ـرين [مـ]ـن [مـ]ـسـ[ـهل ذ]ـى الحجة

٨ الى انسلخ المحرم سنة ست عشرة ومائة فمن لقيه

٩ من عمال الأمير او غيرهم فلا يعترض له فى ذلك

١٠ من الاجل الابخير والسلم على من اتبع الهدى

١١ وكتب طليق <ـفى> مستهل ذى الحجة تمام سنة

١٢ اثنتى عشرة ومائة

L. S. [ا]لله و
عبـد الله

نقلا عن جروهمان : أوراق البردي العربية ج ٣ ص ١١٩ .

ملحق رقم (٣) خريطة بلاد المغرب في عصر الولاة

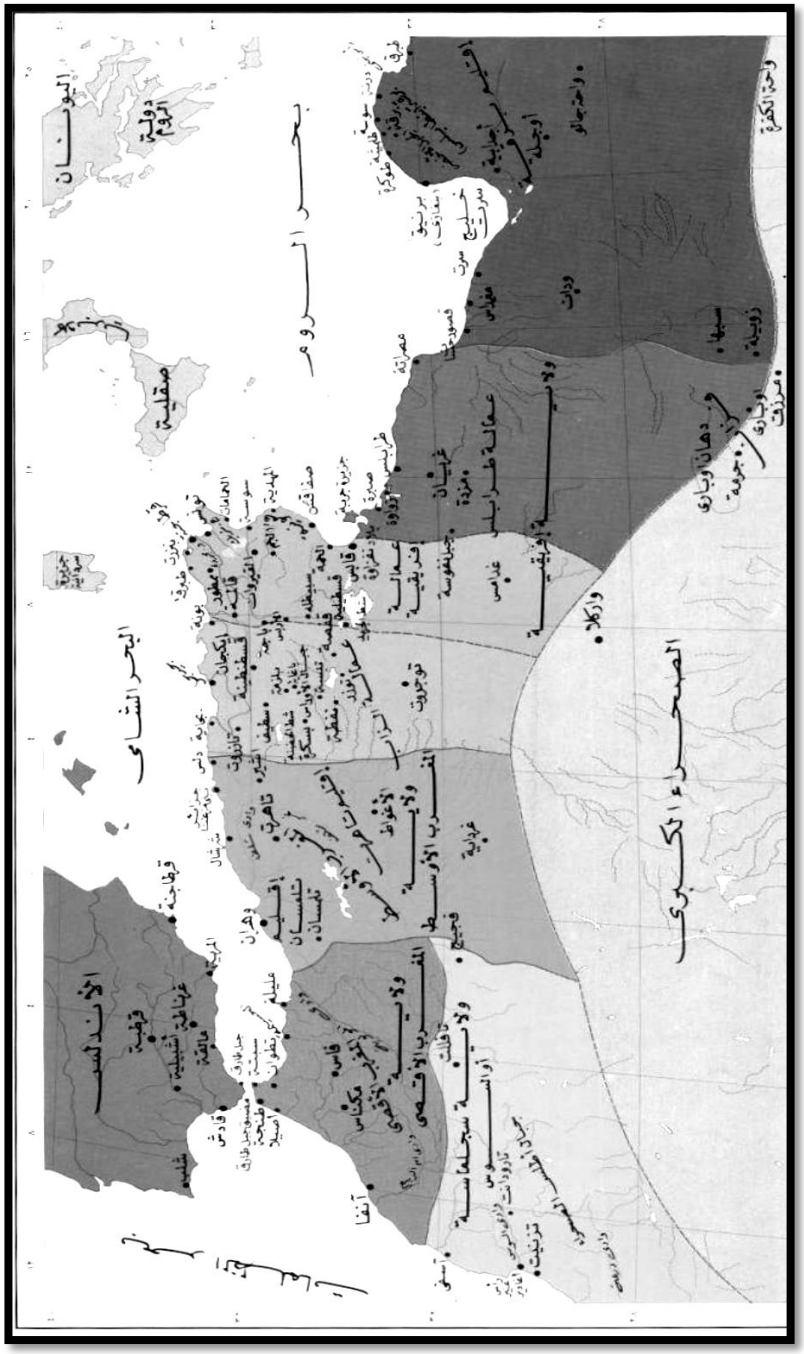

نقلا عن : حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط ١، القاهرة ١٩٨٧ م، ص ١٥٨ .

ثبت المصادر والمراجع

. أولا . المصادر المطبوعة :

١. القرآن الكريم .

* ابن الأبار: (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)

٢ . الحلة السيراء، تحقبق / حسين مؤنس، الطبعة الثانية، ذخائر العرب ٥٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥ م.

* ابن أبي حاتم : (أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس التميمي ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م)

٣ـ الجرح والتعديل ج ٢ ق ١، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

* ابن أبي دينار :(أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ت ٧٤٨ هـ)

٤ . المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة الأولى ، تونس ١٢٨٦ هـ .

* ابن الأثير: (أبوالحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م)

٥ . الكامل في التاريخ ج ٢، تحقيق / أبو الفداء عبدالله القاضي، ج ٤، راجعه وصححه / محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

* الأزدي : (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي ت ٣٣٤ / ٩٤٥ م)

٦ . تاريخ الموصل، تحقيق / علي حبيبة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثالث عشر، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

* البغدادي : (عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)

٧ . الفرق بين الفرق، تحقيق/ محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت١٩٩٥م .
* البكري : (أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م)
٨ . المسالك والممالك، تحقيق / أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢ م .
* البلاذري : (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)
٩ . جمل من أنساب الأشراف ج ٨ بنو عبد شمس (٤)، تحقيق / سهيل زكار، رياض زركلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت . لبنان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م .
١٠ـ فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٧ / ١٩٨٧ م .
* ابن تغري بردي : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
١١ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر, نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م.
* الجهشياري: (أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م)
١٢ـ الوزراء والكتاب، تحقيق / مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م .
* ابن الجوزي : (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧ هـ)
١٣ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٧، تحقيق/ محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

* ابن حجر : (الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
١٤ـ تقريب التهذيب، تحقيق / أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الطبعة الأولى، دار العاصمة للنشر والتوزيع، د. ت .
١٥ـ تهذيب التهذيب ج ٢، تحقيق / إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، د . ت،
١٦. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق / علي محمد عمر , الطبعة الأولى , مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
١٧ـ لسان الميزان ج٤، تحقيق / عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
* ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)
١٨. جمهرة أنساب العرب، تحقيق / عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢ م .
* الحميدي : (أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي الأندلسي ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م)
١٩ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق / بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٤٢٩ / ٢٠٠٨ م .
* الحميري : (محمد بن عبد المنعم الحميري ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
٢٠ـ الروض المعطار في خبر الأقطار , تحقيق د/ إحسان عباس , الطبعة الثانية , مكتبة لبنان , بيروت ١٩٨٤م .
* ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ت بعد سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)

٢١ . صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . لبنان ١٩٩٢ م
* ابن خرداذبه: (أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله ت نحو ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م)
٢٢. المسالك والممالك، تحقيق / دغويه، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩ م
* ابن الخطيب : (لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبدالله ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)
٢٣. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، ق٣ خاص بتاريخ المغرب، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء . المغرب ١٩٦٤ م .
* . ابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
٢٤. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الأجزاء ٣، ٤، ٦، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس / خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٠م .
* خليفة بن خياط : (أبو عمرو خليفة بن خياط الليثي العصفري ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
٢٥. تاريخ خليفة ابن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
* ابن دقماق : (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)
٢٦ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، القسم الأول، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، د. ت.
* الذهبي: (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٧ هـ / ١٣٧٤ م)
٢٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٣، ج ٦، تحقيق د / بشار عواد معروف،الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ٢٠٠٣ م .

٢٨ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج٣، تحقيق/ علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .
* ابن رسته : (أبو علي أحمد بن عمر ت بعد ٢٩٠ هـ / بعد ٩٠٢ م)
٢٩. الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩٢ م .
* الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ت بعد سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧م)
٣٠. تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق / محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة،١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
* أبو زكرياء : (يحيى بن أبي بكر ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨ م)
٣١ـ سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق / إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.
* ابن زولاق : (الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م)
٣٢. فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق /علي محمد عمر، طبعة خاصة بمكتبة الأسرة، سلسلة التراث، مكتبة الخانجي بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩ .
* ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونيين (ت أواخر القرن الرابع الهجري /١٠م)
٣٣ . سير الآباء البطاركة ج ٢، نشره / عبدالعزيز جمال الدين ضمن كتابه تاريخ مصر من بداية القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٦م .
* سعيد بن بطريق : (البطريرك أفتيشيوس المكنى بسعيد بن بطريق ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٩ م)

٣٤ . التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ج٢، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٩ م .

* الشهرستاني : (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ت ٥٤٨هـ / ١٠٦٥م)

٣٥ـ الملل والنحل، تحقيق / أمير علي مهنا، على حسن فاعور، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

* السيوطي : (جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١هـ /)

٣٦. تاريخ الخلفاء، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٣٧. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ج ١، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧

* الضبي : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م)

٣٨. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧ م .

* الطبري : (أبو جعفر محمد بن جريرالطبري ت ٣١٠هـ /٩٢٢ م)

٣٩ . تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ج٦، ج٧، تحقيق / محمد أبوالفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠ م .

* ابن عبدالحق : (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م)

٤٠ . مراصد الاطلاع على أسما الأمكنة والبقاع، تحقيق / علي محمد البجاوي، الطبع الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .

* ابن عبدالحكم: (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالحكم ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧١ م)

٤١. فتوح مصر والغرب، تحقيق /عبد المنعم عامر، سلسلة الذخائر رقم ٤٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د . ت .

* ابن عدي : (أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥ م)

٤٢ ــ الكامل في ضعفاء الرجال ج ٤، ج ٥، تحقيق / عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د . ت.

* ابن عذارى : (أبو العباس أحمد بن محمد ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)

٤٣ . البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق / بشار عواد معروف، محمد بشارعواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٤٣٤ / ٢٠١٣ م .

* أبو العرب :(محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي ت ٣٣٣هـ /٩٤٤ م)

٤٤ . طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت . لبنان، د . ت .

* ابن عساكر: (أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي ت ٥٧١هـ / ١١٧٥ م)

٤٥ . تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واريها وأهلها، ج ٨، ج ٣٧، ج ٤٩، تحقيق /محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت . لبنان، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

* الفسوي : (أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م)

٤٦. المعرفة والتاريخ ج٣، تحقيق / أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٤١٠هـ .

* ابن قتيبة : (أبو محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

٤٧ . أدب الكاتب، تحقيق / محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، د. ط . ت

٤٨ . الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء (المنسوب لابن قتيبة)، تحقيق /علي شيري، الطبعة الأولى، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت . لبنان ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٤٩ـ المعارف، تحقيق/ ثروت عكاشة، سلسلة ذخائر العرب٤٤، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١ م .

* القلقشندي : (أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
٥٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ١، جـ ٥، درا الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م .
* ابن القوطية : (أبوبكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن إبراهيم القرطبي ت ٣٦٧ هـ /٩٧٧ م)
٥١ . تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق / إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، القاهرة دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .
* ابن الكرديوس: (عبدالملك بن محمد بن الكرديوز التوزري ت بعد ٥٧٥ هـ)
٥٢ . الاكتفاء في أخبار الخلفاء ج ٢، تحقيق / صالح بن عبدالله الغامدي، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
* الكندي : (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)
٥٣ . الولاة وكتاب القضاة، تحقيق / رفن كست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨ م
* المالكي : (أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي ت بعد ٤٦٠ هـ)
٥٤ . رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق / بشير البكوش، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت١٤١٤هـ /١٩٩٤م.
* الماوردي : (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت ٤٥٠هـ /)
٥٥ . الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق / أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م .
* مجهول (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
٥٦ . أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق / إبراهيم الإبياري، سلسلة المكتبة الأندلسية، الطبعة الثانية،

دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

* مجهول : (كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري)

٥٧ . الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة،ومصر وبلاد المغرب) تحقيق / سعد زغلول عبدالحميد، دار اشئون الثقافية العامة، بغداد، د. ت .

* مجهول .

٥٨ . مفاخر البربر، تحقيق / عبدالقادر بوباية، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ، ٢٠٠٥ م .

* المقريزي : (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م)

٥٩ . البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩ م .

٦٠ . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق / محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨ م .

* النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م)

٦١ . نهاية الأرب ج٢٤، تحقيق عبد المجيد ترحيني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

* أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ت بعد٣٩٥هـ / بعد ١٠٠٤م)

٦٢ . كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق/علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

* ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٦٣ . معجم البلدان، دار صادر بيروت , د . ط . ت .

* ابن يونس :(أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي ت ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م)

٦٤ . تاريخ ابن يونس، القسم الأول (تاريخ المصريين)، القسم الثاني (تاريخ الغرباء) جمع وتحقيق / عبدالفتاح فتحي عبدالفتاح، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ١٤٢١ هـ / ٢٠٠م .

ـ ثانيا ـ المراجع العربية والمترجمة :

* إبراهيم بيضون .

١. الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

٢ـ ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،١٩٧٩م.

* إبراهيم علي طرخان .

٣. إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٣٩٠هـ /١٩٧٠ م .

* أدولف جروهمان .

٤ـ أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ج ٣، ترجمة / حسن إبراهيم حسن، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٥ م .

* جمال الدين الشيال .

٥ . تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٧ م .

* حسن أحمد محمود .

٦ . الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ج١، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٣م.

٧. قيام دولة المرابطين قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط . ت .

* حسين مؤنس .

٨ . أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٩. تاريخ مصر من الفتح العربي إلى أن دخلها الفاطميون، نشر ضمن كتاب تاريخ الحضارة المصرية، المجلد الثاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت .

١٠ . فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت .

١١ . فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ . ٧٥٦م) الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل، بيروت . لبنان ٢٠٠٢ م .

١٢ـ معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الرابعة، دار الرشاد، القاهرة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م . * حمدي شاهين .

١٣ـ الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م.

* رجب محمد عبدالحليم .

١٤ . دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (١٢٥ . ٤٥٥هـ / ٧٤٣ . ١٠٦٣م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .د. ط . ت .

* رينهارت دوزي .

١٥ـ تاريخ مسلمي أسبانيا، الجزء الأول الحروب الأهلية ، ترجمة د / حسن حبشي، مراجعة / جمال محرز، مختار العبادي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م .

* زبيدة عطا .

١٦. الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي ص ٩١، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٤٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١ م .

* ستانلي لين بول .

١٧ . تاريخ مصر في العصور الوسطى، ترجمة وتعليق / أحمد سالم سالم، الطبعة الثانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠١٥ م .

* سعد زغلول عبدالحميد .

١٨ . تاريخ المغرب العربي جـ ١، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٩ م .

* سيدة إسماعيل كاشف .

١٩ . مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٨٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م .

* السيد عبدالعزيز سالم .

٢٠ . تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٩٩م

* شاكر مصطفى .

٢١ . دولة بني العباس ج ٢، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٣.

* صفاء حافظ حجازي .

٢٢ـ الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة (٢١ . ٢٥٤ هـ / ٦٤٢ . ٨٦٨ م) المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة ١٩٩١م.

* عبد العزيز الثعالبي

٢٣. تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق / أحمد ابن ميلاد، محمد إدريس، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان ١٤١٠هـ /١٩٩٠م

* عبدالمجيد عابدين .

٢٤ـ دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل ، نشر ضمن تحقيقه لكتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩ م .

* عمر فروخ .

٢٥ . العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط من فتح المغرب والأندلس إلى آخر عصر الولاة(١٣٨هـ /٧٥٦ م)، الطبعة الأولى، منشورات المكتب التجاري، بيروت ١٣٧٨ هـ /١٩٥٩م.

* لقبال موسى .

٢٦ . المغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١ م .

* محمد جبر أبوسعدة .

٢٧ . دراسات في تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨م .

* محمد رمزي .

٢٨ . القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م، ق ١ البلاد المندرسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤.

* محمد ضياءالدين الريس .

٢٩ . الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار الأنصار، القاهرة ١٩٧٧م

* محمد علي دبوز .

٣٠ . تاريخ المغرب الكبير جـ ٢، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا ٢٠١٠ م

* محمد محمد زيتون .

٣١ـ القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط ١، دار المنار، القاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

* محمد محمود الحويري .

٣٢ . أسوان في العصور الوسطى، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة ١٩٨٠ م

* محمود إسماعيل عبدالرازق .

٣٣ . الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥ م .

* مصطفى أبوضيف أحمد .

٣٤ . أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح إلى سقوط الدول المستقلة (٢٣ . ٢٩٦ هـ / ٦٤٣ . ٩٠٩ م) جـ ١، الطبعة الأولى، دار النشر المغربية، الدار البيضاء . المغرب ١٩٨٦م.

* مصطفى محمد مسعد .

٣٥ . الإسلام والنوبة في العصور الوسطى : بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١.

ثالثا ـ الأبحاث العلمية والدوريات :

* حسين مؤنس .

١ . ثورات البربر في المغرب والأندلس بين سنتي ١٠٢ . ١٣٦ هـ / ٧٢١ . ٧٥٣ م، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد العاشر، جـ ١، مايو ١٩٤٨ م .

* فاطمة عبدالقادر رضوان .

٢. المغرب في عصر الولاة الأمويين (٩٠ . ١٣٢ هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .

فهرست موضوعات البحث

الموضوع	الصفحة
ملخص باللغة العربية	٣٩٩٣
ملخص باللغة الإنجليزية	٣٩٩٤
المقدمة	٣٩٩٥
المبحث الأول: تعريف بابن الحبحاب	٤٠٠٠
اسمه ونسبه	٤٠٠٠
مولده ونشأته	٤٠٠١
ثقافته	٤٠٠٣
أسرته	٤٠٠٤
المبحث الثاني: ابن الحبحاب واليا على خراج مصر	٤٠٠٩
ولاية ابن الحبحاب الخراج في مصر	٤٠٠٩
إصلاحاته الاقتصادية أثناء ولايته الخراج	٤٠١١
زيادة ابن الحبحاب ضريبة الخراج	٤٠١٢
موقف الأقباط من هذه الزيادة	٤٠١٢
نقل ابن الحبحاب القبائل القيسية إلى مصر	٤٠٢٠
مصالحة ابن الحبحاب للبُجَة	٤٠٢٣
علاقة ابن الحبحاب بولاة مصر	٤٠٢٧
الخلاف بينه وبين والي مصر الحر بن يوسف	٤٠٢٨
موقفه من ولاية حفص بن الوليد	٤٠٢٩
المبحث الثالث : ابن الحبحاب واليا على المغرب والأندلس	٤٠٣٢
ولاية ابن الحبحاب على بلاد المغرب والأندلس	٤٠٣٢
سياسته الداخلية وأهم أعماله الإدارية والعسكرية	٤٠٣٥

تنظيماته الإدارية في بلاد المغرب والأندلس	٤٠٣٧
جهوده العسكرية	٤٠٣٩
أولا . حملة السوس الأقصى والسودان الغربي	٤٠٤٠
ثانيا. النشاط البحري لولاية المغرب في عهد عبيدالله بن الحبحاب	٤٠٤٢
الحملة البحرية الأولى	٤٠٤٣
الحملة البحرية الثانية	٤٠٤٤
الحملة البحرية الثالثة	٤٠٤٤
الحملة البحرية الرابعة	٤٠٤٤
الحملة البحرية الخامسة	٤٠٤٥
أعماله العمرانية	٤٠٤٧
المبحث الرابع : ابن الحبحاب وثورة الخوارج	٤٠٥٠
أسباب الثورة	٤٠٥٠
مقدمات الثورة (قصة الوفد)	٤٠٥٥
أحداث الثورة	٤٠٦٦
استيلاء الثوار على مدينة طنجة	٤٠٦٨
استيلاء الثوار على إقليم السوس الأقصى	٤٠٦٩
موقعة الأشراف	٤٠٧٠
الآثار التي تربت على هزيمة قوات ابن الحبحاب في موقعة الأشراف	٤٠٧٦
نهاية ابن الحبحاب	٤٠٧٩
الخاتمة	٤٠٨١
الملاحق	٤٠٨٥
ثبت المصادر والمراجع	٤٠٨٨
فهرست موضوعات البحث	٤١٠٢